3 me Année, No. 96.

Lundi-6-5-1935

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

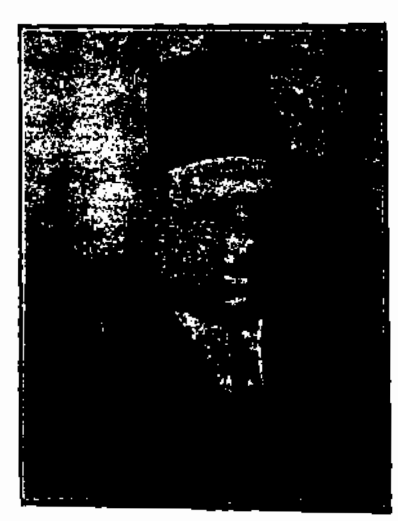
الإدارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٩٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ٣ صفر سنة ١٣٥٤ — ٦ مايو سنة ١٩٣٥» السنة الثالثة

فهرس العـــدد

بنـــــك مصر . . .


محمد طلعت حرب باشا

غداً فى الساعة الخامسة يبدأ الاحتفال القومى بمرور خمسة عشر عاماً على مولد بنك مصر. والاحتفال بعيد هذا البنك النامى الخصيب احتفالٌ بالنصر المؤزَّر فى جهاد الأمة لاستقلالها الحق؛ فان مصر منذ انحسر عن الأرض ذلك الطوفان الدموى الذى غمرها أربع سنين، هبَّت تقرر فى الدول وجودها الطبيعى الحر، فما صغت لها أذن، ولا نهضت بحجتها عدالة. ذلك لأن أوربا الجائعة المجهودة تريد أن تسد فجوات القنابل وحفائر الخنادق وأخاديد القبور بما بقى على الأحداث من أقوات الشرق؛ والشرق — كما تعلم — يستطيل بالكرم ويستعز بالجاه، فادمت تحِلّه الصدر، وتبوِّئه الوظيفة،

فلا عليه بعد ذلك أن يكون كرسيه بالاستعارة، ومأكله بالدَّين، ومسكنه بالأجرة!

حمل المتجعون العِجافُ من أهل أوربا ثمر نشاطهم الصناعي إلى أسواقنا القاصرة المستهلكة، وقاموا على أرزاقنا مقام القيِّم يبضُّون لنا منها بمالا يكاد يستر الجسم ويمسك الرمق، ثم يحولونها عمرانا في خرائب باريس، وسلطاناً في حكومة لندن، ويسمعوننا نثور في المحابر ونصيح على المنابر، فيقولون اكتبوا ما واتى المدادُ القلم، واخطبوا ما أسعف الريقُ اللسان، فلن ينزع الملق خراطيمه الماصة من الجلد مادامت الجنود مقبورة في الثكنات، والأموال مطمورة في الخزائن! حينئذ قال رجل الساعة محمد طلعت حرب باشا: رويدكم! سنرسلها شعواء بالذهب لا بالحديد!

* * *

كانت مصر في العهد الذي أسس فيه بنك مصر في مأزق من مآزق الحياة المشتبهة الخادعة: تنعم في رخاء كاذب وأمن مريب، ووراءها أوزار حرب ضروس، وأمامها لوائح أزمة طاحنة، وشباب البلاد تعصف في رءوسهم نخوة الوطنية والحرية والكرامة، فلا يفكرون إلا في الاحتلال، ولا يعملون إلا للسياسة؛ وأغنياء الأمة جاثمون على أموالهم المكدسة جثوم الدجاجة المُرْخِم على بيضها العقيم، لا يُثمِّرونه بأنفسهم لنقص الكفاية، ولا يكلون استثماره لغيرهم لفقد الثقة؛ ورجال الدولة مشغولون بجباية الخراج، وتحضير الميزانية، واستئناف المفاوضات، وتحرير مشروعات المعاهدة، فلا يملكون حماية التجارة لقيود الجرك، ولا يستطيعون انشاء الصناعة لمناوأة المحتل؛ والأجانب عاكفون على منابع الوادي يستنزفونها بالربا، ويكدرونها بالسفه، ثم لا يسمحون للظمآن أن يألم، ولا للمهان أن يغضب

وكانت عناية الله التي ألهمت سعد زغلول أن يخرج شعبه من رق الاحتلال السياسي، هي التي ألهمت في الوقت نفسه طلعت حرب أن يخرج قومه من رق الاحتلال الاقتصادي؛ وكلا الرجلين منذ نشأ ميسر لما قام له: فسعد باشا بطبعه رجل كفاح وخصومة، وزعيم برلمان وحكومة، ورسول من رسل الوطنية الروحية، له عصمته وجاذبيته وإيمانه؛ وطلعت باشا بطبعه رجل انشاء وعمل، وصاحب تدبير وخطة، ورسول من رسل الوطنية المادية، يهذب النفس برفاهة الجسم، ويرفع العمران بوفرة الانتاج، ويضمن الاستقلال بقوة الثروة، وله كذلك عبقريته ونزاهته وإخلاصه

وثق الناس بالزعيمين الخطيرين فجادوا للأول بالأنفس، فشاد بيت الأمة، وكون الرأي العام، وألف الوفد؛ وجادوا للثاني بالأموال، فشاد بنك مصر، وأنشأ شركات مصر، وكوّن ثروة مصر؛ وربّى سعد باشا لوطنه شباب جهاد وتضحية، كانوا منه مكان القلب الشاعر، والحس المدرك، والروح الملهم؛ وربّى طلعت باشا لشعبه شباب اقتصاد وروية، كانوا منه مكان البصيرة الحازمة، واليد العاملة، والعقل المنظم؛ ثم كان من هؤلاء وهؤلاء دليل ناهض على يقظة هذه الأمة وشعورها بارادتها لما تفعل، وسيادتها على ما تملك، وحريتها فيما تريد

* * *

لا أستطيع بهذا القلم الموجز في هذا المكان المحدود أن أجمل ما أضفاه بنك مصر وشركاته ومنشآته من النعمة على الأمة؛ وإن في تقرير مجلس الادارة الذي نشر منذ أيام عن السنة الخامسة عشرة من حياة البنك، والخطبة الخطيرة التي سيلقيها المدير الجليل في احتفال الغد عن حياة البنك، لبلاغاً لمن لم يسمع إلى اليوم ذلك اللحن القومي القدسي الذي يتألف من صريف الأموال المصرية في البنك، وهدير البواخر المصرية في البحر، وأزيز الطوائر المصرية في الجو، ودويّ المصانع المصرية في المحلة!

إن نجاح بنك مصر وشركاته هو وحده الحجة الدامغة على نضوج هذا الشعب، لأنه نسق من الضرورة والقدرة والنظام والثقة لا يقوم على الهوى، ولا ينتظم على الطيش، ولا يصبر على الفساد، ولا يتقدم على العجز، ولا يبلغ شيئاً وراء الزعامة الرخوة؛ فبينما نجد النهضة السياسية تنتكس فترجع الى الموت، والحالة الأخلاقية تنحلُّ فتعود الى المهانة، والحركة الأدبية تضطرب فتنقلب إلى الفوضى، نجد هذا البنك ينمو نمو النبات بَرَكة على بَرَكة، ويتضاعف تضاعف الحياة شركة بعد شركة، ويجذب الوجود المصري معه إلى السبيل التي يأمن فيها الفناء، ويخرج منها إلى العافية!

احمد حسن الزيات

٢ ـ الانتحار

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال المسيَّب بنُ رافع : وقام الشعبيُّ إلى الرجل فاعتنقه فرَحاً بما آلَ أمرُه إليه ، بعد إذ رأى النورَ يجرى على لونه ويترقرقُ فى ديباجته ؛ كأنما وقَع الصلحُ بين وجهه وبين الحياة . ثم قال له : نِعْمَ أخو الاسلام أنت ، فاستعِذْ بالله من خِذلانه ، فانه ما خذَلكَ إلا وضَعكَ نفسَك بإزاءِ الله تعارضُه أو تجاريه فى قدرته ، فيكِلُكَ إلى هذه النفس ، فتنتهى بك إلى العجز ، وينتهى العجزُ بك إلى السخط ؛ ومتى كنتَ عاجزا ساخطا ، محصورا فى نفسك ، موكولاً إلى قدرتك — كنتَ كالأسد الجائع فى القفْر ، إذا ظن أن قوّته تتناول خلقَ الفريسة ؛ فيدعو ذلك إلى نفسك اليأسَ والانزعاجَ والكآبة ، وأمثالها من هذه المُهلِكات تقدحُ فى قلبك الشكَّ فى الله ، وتُثبتُ فى رُوعك شرَّ الحياة ، وتهدى إلى خاطرك حماقاتِ العقل ، وتقرِّر عندك عجزَ الارادة ؛ فتنتهى من كل ذلك ميِّتاً قد أزهقتْك نفسُك قبل أن تُزْهِقَها !

ولو كنتَ بدَّلَ إيمانك بنفسك قد آمنتَ بالله حقَّ الايمان — لسلَّطك اللهُ على نفسك ولم يسلِّطها عليك ؛ فاذا رمتك المطامعُ بالحاجة التى لاتقدر عليها ، رميتَها من نفسك بالاستغناء الذى تقدر عليه ؛ وإذا جاءتك الشهواتُ من ناحية الرغبة المقبلة ، جئتَها من ناحية الزُّهد المنصرف ؛ وإذا ساورتْك كبرياءُ الدنيا أذْلَلْتَها بكبرياء الآخرة

وبهذا تنقلب الأحزانُ والآلام ضُروباً من فرَحِ الفوز والانتصار على النفس وشهواتها ، وكانت فنونا من الخِذْلان والهمّ ؛ وتعود موضعَ فخرٍ ومباهاة ، وكانت أسبابَ خِزْىٍ وانكسار . وعزيمةُ الايمان إذا هى قويتْ حصرَت البلاءَ فى مقداره ، فاذا حصرَته لم تزل تَنقُص من معانيه شيئاً شيئاً ؛ فاذا ضعفتْ هذه العزيمة جاء البلاءُ غامراً مُتفشِّياً يُجاوزُ مقدارَه بما يَصحبُه من الخوف والرَّوع ، فلا تزال معانيه تزيد شيئاً شيئاً بما فيه وبما ليس فيه

وللايمان ضوءٌ فى النفس ينير ما حولها ــ تراه على حقيقته الفانيةِ وَشيكاً أن يزول ؛ فاذا انطفأ هذا الضوءُ انطمستَ الأشياء ، فتتوهّمها النفس أوهاماً مُتباينةً على أحوالها المختلفة : كما يرى الأعمى بِوَهْمه ؛ لاعينُه مع الأشياءِ تكون فى طبيعتها ، ولا أشياؤه عند عينيهِ تكونُ فى حقيقتها

* * *

قال المسيَّب : وكانت الشمسُ قد طفَّلَتْ للمغيب ؛ فقال الامام للرجل : قم فتوضّأ وأسبغ الوضوء ، وسأعلِّمك أمراً تنتفع به فى دينك ودنياك : فاذا قمتَ إلى وُضوئك فأيقِنْ فى نفسك واعزِمْ فى خاطرك على أن فى هذا الماء سرًّا روحانيا من أسرار الغيب والحياة ، وأنه رمزٌ للسماء عندك ، وأنك إنما تتطهَّر به من ظلُمات نفسك التى امتدّت على أطرافك ؛ ثم سَمِّ اللهَ تعالى مفيضاً اسمه القادرَ الكريمَ على الماء وعلى نفسك معاً ، ثم تمثلْ أنك غسلتَ بديك مما فيها ومما تتعاطاه بها من أعمال الدنيا ، وأنك آخذٌ فيها من السماء لوجهك وأعضائك ؛ وقرِّر عند نفسك أن الوضوء ليس شيئاً إلا مَسحةً سماوية تسبغها على كل أطرافك ، ليشعرَ بها جسمكَ وعقلك ؛ وأنك بهذه المسحةِ السماوية تستقبلُ اللهَ فى صلاتك سماوياً لا أرضيا

فاذا أنت استشعرتَ هذا وعملتَ عليه وصار عادةً لك ، فان الوضوء حينئذ ينزل من النفس منزلةَ الدواء ، كلّما اغتممتَ أو تكرّهتَ أو تسخطت ، أو غشيكَ حزنٌ أو عرضَ لك وسواس ؛ فما تتوضأ على تلك النية إلا غسلتَ الحياةَ وغسلتَ الساعة التى أنت فيها من الحياة(١) وترى الماءَ تحسبه هدوءاً ليناً لينَ الرِّضى وإذا هو ينسابُ فى شعورك وفى أحوالك جميعا

قال المسيب : وقمتُ أنا فجدَّدتُ وضوئى على هذه الصفة بتلك النية ؛ فاذا أنا عند نفسى مستضىءٌ بروحٍ تجعيةٍ لها إشراقٌ وسناء ، وإذا الوضوءُ فى أضعف معانيه هو ما علمنا من أنه الطهارةُ والنظافة ، أما فى أقوى معانيه فهو إفاضةٌ من السماء فيها التقديسُ والتزكيةُ وغَسلُ الوقتِ الانسانىّ مما يخالطه كلما مرّت ساعات ، وابتداؤُه للروح كالنبات الأخضر ناضراً مطلولاً مترَطباً بالماء

(١) هذه فى رأينا حكمة تكرار الوضوء . وتلك هى أسراره عندنا . وقد بينا شيئاً من حكمة الصلاة فى مقالة حقيقة المسلم ، فليرجع إليها القارئ

ثم صلى بنا الشيخُ وأمرنى بالمبيت مع الرجل ، كأنما خشى البدَوَات أن تَبدُوَ له فتنقضَ عَزْمَه ، أو هو زادنى عليه لأغيِّر شخصه وأبدِّلَ وحدتَه التى كان فيها ، أو كأنَّ الشيخ لم يأمن على الرجل أن يكون إنسانه الروحىُّ قد تنبهَ بأكله فوضعنى كالتنبيه له

وجاءنا العشاءُ من دار الشيخ فطعمنا ، ثم قام الرجل فتوضأ وصلينا العتمة وجلسنا نتحدث ، فاستنبأته نبأه ، فقال : مَهلاً ، ثم نهض فتوضأ الثالثةَ وقال : تالله ما أعرفُ الوضوءَ بعد اليوم إلا ملامَسةً بين السماء والنفس . وما أعرف وقته من الروح إلا كساعة الفجر على النبات الأخضر

* * *

قال المسيَّب : وأصبحنا فغدونا على الامام ؛ ثم لزمنى الرجلُ فى بعض أمورى ، ثم وافينا المسجد صلاةَ العصر لحضور درس الشيخ ؛ وكان النـاسُ كالحَبِّ المتراصِّ على العُنقود ، لا أدرى من ساقهم وجمعهم ؛ كأنمـا علمت الكوفةُ أن رجلاً مسلماً كفرَ بالله كفرةً صَلْعاءَ ، وأنه سيحضُر درسَ الشيخ وسيحضر الشيخُ من أجله ، فهبَّتْ الرياحُ الأربع تسوق أهلها إلى المسجد من أقطارها

وجلس الشيخ مجلسَ الحديث فقال :

روَينا أن رجلاً كانت به جِراحةٌ ، فأتى قَرَناً له فأخذَ مِشْقَصاً [1] فذبحَ به نفسَه ؛ فلم يُصلِّ عليه النبيّ (صلى الله عليه وسلم) وترك جنازتَه مطرودةً تقتحم مَتْلفةَ الآخرة كما اقتحمتْ متلفةَ الدنيا !

روينا فى الحديث عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : « الذى يخنقُ نفسه يخنقُها فى النار ، والذى يطعن نفسَه يطعنُ نفسه فى النار ، والذى يقتحم يقتحم فى النار ! »

روينا عنه (صلى الله عليه وسلم) : « من قتلَ نفسَه بشىء عُذِّب به يومَ القيامة ! »

روينا عنه (صلى الله عليه وسلم) قال : « كانَ رجلٌ به جِراحٌ فقتل نفسه ، فقال الله : بَدَرنى عبدى بنفسِه حُرِّمتْ عليه الجنة ! »

قال الشعبىّ : يقول الله : « بَدَرَنى عبدى بنفسه » أىْ بدرنى وتألّه فجَعلَ نفسَه إلَه نفسِه ، فقبَضها وتوفاها ، فكان ظالماً

بَدَرنى وتألّه فى آخر أنفاسه لحظةً ينقلبُ إلىّ ، فكان مع ظُلمه مغروراً أحمق !

بدرنى وتألّه حين ضاق ، فهوَّرَ نفسَه فى الموت من عجزه أن يمسكَها فى الحياة ، فكان عاجزاً مع ظُلمه وغُروره وحُمْقِه !

بدرنى وتألّه على جهله بسرّ الحياة وحكمتها ، فلم يَستَحِ هذا المخلوقُ الظالم المغرور فى حمقه وعجزه وجهله — لم يستح أن يجيئنى فى صورة إلَه !

بَدَرنى وتألّه ، فطبَع نفسَه طابعهَا الأبدى من غىّ وتمرّد وسفاهة ، وأرسَلها إلىّ مقتولةً يردّها علىّ

بدرنى وتألّه كأنما يقول : إن له نصفَ الأمر ولى النصف ، أنا أحييْتُ وهو أمات . . . !

بَدرنى عَبْدى بنفسه حُرِّمتْ عليه الجنة !

قال الشعبىّ : وإنمـا تحرم الجنةُ على من يقتل نفسَه ، إذ ينقلبُ إلى الله وعلى روحه جِنـايةُ يده ما تفارقُها إلى الأبد ؛ فهو هناك جيفةٌ من الجِيَف مسمومةٌ أبداً ، أو مخنوقةٌ أبداً ، أو مذبوحةٌ أبداً ، أو مهشَّمةٌ أبداً ، يقول الله له : أنت بدرتَنى بنفسك ، وجريتَ منى فى القَدَر مجرًى واحـداً ، فستخلد نفسك فى الصورة التى هى من عملك ، وما قتلتَ إلا حسناتك

قال الشعبىّ : ولو عرف قاتلُ نفسـه أنه سيصنع من نفسه جيفةً أبديّة ، فمن ذا الذى يعرف أنه إذا فعل كذا وكذا تحوَّل حماراً وبقى حماراً فيرضى أن يتحوّل ويسرعَ ليتحوّل ؟

من ذلك نظر النبىُّ (صلى الله عليه وسلم) إلى جنازة ذلك الرجل الذى قتل نفسـه كما ينظر إلى ذبابةٍ توجّهت بالسبِّ إلى الشمس والكواكبِ والأفلاكِ كلها ، ثم جاءته تقول له : اشهدْ لى

* * *

قال الشيخ : ولِمَ يقتل الانسانُ نفسه ؟ أماَّ إن الموت آتٍ لاريب فيه ولا مَفرّ لحىّ عنه ، وهو الخيبةُ الكُبرى تُلقى

[1] القرن (بفتحتين) جعبة النشاب ، والمشقص : سهم فيه نصل عريض

على هذه الحياة ، فما ضررُ الخيبة الصغيرة فى أمرٍ من أمور الحياة ؟

إن المرء لا يقتل نفسه من نجاحٍ بل من خيبة ؛ فان كانت الخيبة من مال فهى الفقر أو الحاجة ، وإن كانت من عافية فهى المرضُ أو الاختلال ؛ وإن كانت من عِزّة فهى الذل أو البؤس ، وإن كانت مما سوى ذلك — كالنساء وغيرهن — فهى العجز عن الشهوة أو التخيل الفاسد

وليس يخيب الانسان إلا خيبةَ عقلٍ أو إرادة ، وإلا فالفقرُ والحاجة ، والمرضُ والاختلال ، والذلُّ والبؤس ، والعجز عن الشهوة وفساد التخيل — كل ذلك موجودٌ فى الناس ، يحمله أهلُه راضين به صابرين عليه ، وهو الغبار النفسى لهذه الأرض على نفوس أهلها ، ويا عجباً إن العُميان هم بالطبيعة أكثر الناس ضحكاً وابتساماً وعبثاً وسخريةً ؛ أفتريدون أن تخاطبكم الحياةُ بأفصحَ من ذلك ؟

ليست الخيبة هى الشر ، بل الشرُّ كلُّه فى العقل إذا تبلّد فجمد على حالةٍ واحدة من الطمع الخائب ، أو فى الارادة إذا وهنت فبقيت متعلقةً بما لم يوجَد . أفلا ترون أنه حين لا يُبالى العقلُ ولا الارادة لا يبقى للخيبة معنًى ولا أثرٌ فى النفس ، ولا يخيب الانسانُ حينئذٍ بل تخيب الخيبةُ نفسُها ؟

لهذا يأبى الاسلامُ على أهله الترفَ العقليَّ والتخيُّلَ الفاسد ، ويشتدُّ كلَّ الشدة فى أمر الارادة ؛ فلا يترخّص فى شىءٍ يتعلّق بها ، ولا يزال يُنميها بأعمالٍ يوميّة تشدُّ منها لتكونَ رقيبةً على العقل حارسةً له ، فان للعقل أمراضاً كثيرة يطيش فيها درجاتٍ من الطيش حتى يبلغَ الجنونَ أحياناً ؛ فكانت الارادة عقلاً للعقل ؛ هى لِينُه إذا تصلّب ، وهى حركتُه إذا تبلّد ، وهى حِلْمُه إذا طاش ، وهى رضاه إذا سَخِط

الارادة شىءٌ بين الروح والعقل ، فهى بين وجودَين ؛ ولهذا يكون بها الانسان بين وجودَين أيضاً ، فيستطيع أن يعيش وهو فى الدنيا كالمنفصل عنها ، إذ يكون فى وجوده الأقوى ، وجودِ روحه ، وأكبرُ همّه نجاحُه فى هذا الوجود

وهذا النجاح لا يأتى من المال ، ولا تُحقّقه العافية ، ولا تُيسره الشهوات ، ولا يُسنّيه التّخيلُ الفاسد ؛ ولا يكون من متاع الغرُور ، ولا مما عُمرُه خمسون سنة أو مائة سنة ، بل يأتى مما عُمرُه الخلود ، ومما هو باقٍ أبداً فى معانيه من الخير والحق والصلاح . فههنا يُعين المرضُ بالصبر عليه مالا تعين الصحة ، ويُفيد الفقرُ بحقائقه مالا تُفيد الثروة ؛ وهنا يكون العقل الانسانىّ عاملاً أكثر مما هو متخيِّل ، وقانعاً أكثر مما هو طامع ، وههنا لا موضعَ لغلبة الشهوة ، ولا كبرياءِ النفس ، ولا حُبِّ الذات ؛ وهذه الثلاث هى جالبةُ الشقاء على الانسان حتى فى أحوال السعادة ، وبدونها يكون الانسانُ هانئاً حتى فى أحوال الشقاء

بالارادة المؤمنةِ القوية ينصرف ذكاء المؤمن إلى حقائقِ العالم وصلاح النفس بها ، وبغير هذه الارادة ينصرف الذكاءُ إلى خيال الانسان وفساد الانسان

وإذا انصرف الذكاء إلى حقائق الدنيا كان العقل سهلاً مَرِناً مِطواعاً ، واستحال عليه أن يفهم فكرةَ قتل النفس أو يُقرَّها ؛ فان هذه الفكرة الخبيثةَ لا تستطرق إلى العقل إلا إذا تحجَّر وانحصر فى غرضٍ واحدٍ قد خاب وخابت فيه الارادةُ ففرغت الدنيا عنده

ولو أن امرءاً تم عزمُه على قتل نفسه ثم صابَر الدنيا أياماً ، لا نفسخ عزمُه أو ركَّ ، إذ يلين العقلُ فى هذه المدة نوعاً ما ، ويجعلُ الصبرُ بينه وبين المصيبة مسافةً ما ، فتتغير حالةُ النفس هوناً ما . فالصبر كالتروُّح بالهواء على العقل الذى يكاد يختنق من احتباسه فى معنى واحدٍ مُقفلٍ من جوانبه . ومَثلُ العقل فى هذه الحال مَثلُ القائم فى إعصارٍ لفه بالتراب لفاً وسدَّ عليه منافذَ الهواء ، وحبسه فى هذا التراب الملتفّ حَبس الحشرةِ فى جوف القصبة ؛ فهو على اليقين أنها حالة ساعةٍ طارئةٍ فى الزمن لا حالةُ الزمن ؛ وأن الهواء الذى جاء بهذا الهمّ هو الذى يذهب بهذا الهمّ

وكما أن الأرض هى شىءٌ غيرُ هذا الاعصار الثائر منها ، فالحياة كذلك هى أمرٌ آخرُ غيرُ شقائها

* * *

قال الامام : وفى كتاب الله آيتان تدلان على أنه كتابُ الدنيا كلها ، إذ وضع لهذه الدنيا مثالين : أحدهما المثال الروحىّ للفرد الكامل ، والآخر المثال الروحىّ للجماعة الكاملة

أما الآية الأولى فهى قوله تعالى : « لقد كانَ لكُمْ فى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ واليَوْمَ الآخِرَ . »

وأما الثانية فهي قوله تعالى : « مُحَمَّدٌ رسولُ الله والَّذين مَعَهُ أَشِدَّاء على الكُفَّارِ رُحماء بَيْنَهُمْ . »

فى رجاء الله واليوم الآخر يتسامى الانسان فوق هذه الحياة الفانية ، فتمرُّ همومها حولَه ولا تصدمه ، إذ هى فى الحقيقة تجرى من تحته فكأنْ لا سلطان لها عليه ؛ وهذه الهموم تجد فى مثل هذه النفس قوى بالغةً تصرفها كيف شاءت ، فلا يجيء الهمُّ قوةً تسحق ضعفاً ، بل قوة تمتحن قوةً أخرى أو تثيرها لتكون عملاً ظاهراً يقلده الناس وينتفعون منه بالأسوة الحسنة ، والأسوةُ وحدها هى علم الحياةُ

وقد ترى الفقير من الناس تحسبه مسكيناً ، وهو فى حقيقته أستاذ من أكبر الأساتيذ يلقى على الناس دروس نفسه القوية

وفى رجاء الله واليوم الآخر يبطل أكبر أسباب الشرّ فى الناس ، وهو نظر الانسان لمنْ هو أحظى منه بفتنة الدنيا نظراً لايبعث إلا الحقد والسخط ، فينظر المؤمن حينئذ الى ماقى الناس من الخير والصلاح والايمان والحق والفضيلة ، وهذه بطبيعتها لاتبعث إلا السرور والغبطة ، ومَن جعلها فى تفكيره أبطل أكثر الدنيا من تفكيره ؛ وبها تسقط الفروق بين الناس عاليهم ونازلهم ؛ كالرجل الفقير العالم إذا قدم على الغنيّ العالم ؛ تجمع بينهما الاتفاق العقليّ وسقط ما عداه

وفى رجاء الله واليومِ الآخر يعيش الانسان عُمْرَه الطويل أو القصير كأنه فى يومٍ يصبح منه غادياً على الحشر والحساب ؛ فهو متصلٌ بالخلود غيرُ معنيّ إلا بأسبابه ؛ وبهذا تكون أمراضه وآلامه ومصائبه ليست مكارِهَ من الدنيا ، بل هى تلك المكارِهُ التى حُفَّت الجنةُ بها ؛ ولا يضرُّه الحرمان لأنه قريب الزوال ، ولا يغُرُّه المتاع لأنه قريب الزوال أيضاً

وفى رجاء الله واليومِ الآخر يَسُود الانسان على نفسه ؛ ومن كان سَيِّدَ نفسِه كان سيدَ ما حولها يصرِّفه بحكمه ، ومن كان عَبْدَ نفسِه صرَّفه بحكمه كلُّ ما حوله

قال الشعبيّ : وأما المثالُ الروحيُّ للجماعة الكاملة ، فهو فى وصف المؤمنين بأنهم « رُحماءُ بينهم » فهذا هذا ، ما أحسبه يحتاج إلى بَسْطٍ وبيان

إن أكثر ما يضيق به الانسان يكون من قِبَلِ من حوله ممَّن يعايشهم ويتصل بهم لا من قِبل نفسه ، فاذا قام اجتماعُ أمةٍ على أنهم (رُحماءُ بينهم) تقرَّرت العظمةُ النفسيّةُ للجميع على السواء ؛ ومن كانوا كذلك لم يحقروا الفقيرَ بفقره ولم يعظموا الغنيّ لغناه ، وإنما يُحقِّرون ويعظِّمون لصفاتٍ سامية أو حقيرة . وبين هؤلاء يكون الفقيرُ الصابرُ أعظمَ قدراً من الغنيّ الشاكر ، وإعظامُ الناسِ لفضيلةِ الفقير هو الذى يجعل فقرَه عند نفسه شيئاً ذا قيمة فى الانسانية

ومتى تَصحّحت آراءُ الجماعةِ فى هذه المعانى المؤلمة للناس بَطَلَ ألمها واستحالت معانيها ، وصار لا يَبلى معنًى من معانى الحياة فى إنسانٍ إلا وضعَ إعانتُه معنًى جديداً فى مكانه ، وتصبح الفضيلةُ وحدها غايةَ النفس فى الجميع ؛ وبذلك يَصبر الفردُ على مصائبه ، لا بقُوته وحده ولكن بجميع القوى التى حَوله . أفلا تَرَوْن أن إعجاب الناسِ بالشجاعةِ وتعظيمهم صاحبها يضع فى ألمِ السلاحِ لذةً يحسُّها لحمُ الشجاعِ البطل ؟

* * *

قال المسيَّب بن رافع : فقام رجلٌ من المجلس . فقال : أيها الشيخ ، وإذا فَسد الناس وغَلُظتْ قلوبُهم ، وتقطَّعتْ بينهم الأسباب ، ولم يعودوا (رُحماء بينهم) ، وشمتوا بالفقير ، وتهزَّءوا بالمُبتلَى وطرحوه فى ألسنتهم كما يَطرح الشاعرُ فى لسانه رجلاً يهجوه لا يكفُّ عنه — فما عَسى أن يصنع المسكين حينئذ وكلُّ شيءٍ يدفعه إلى قتل نفسه ؟

وقال الشعبيّ : ها هنا الرجاءُ فى الله واليومِ الآخر ، وهو شعورٌ لا يُشترَى بمالٍ ، ولا يُلتمسُ من أحد ، ولا يَعسرُ على من أراده ؛ والفقيرُ والمُبتلَى وغيرُهما إنما يَصنع كلٌّ منهم مِثالَه السامى ؛ فالصبر على هذا العَنَت هو صبرٌ على إتمام المِثال ، وإذا وقع مايسوؤك أو يحزُنك فابحث فيه عن فكرته السامية ، فقلَّما يخلو منها ، بل قلما يجيء إلا بها (١)

قال المسيب : فقام آخر فقال : وكيف يصنع امرؤٌ آلتْ به أحوالُ الدنيا إلى ما يُخيفه ، أو بَلَغ الهمُّ مبلغه من قلبه فهم أن يقتلَ نفسه ؟

قال الشعبيّ : فليجعل الخوفَ خوفَين : أحدهما خوفُه عذابَ الله خالداً مخلداً فيه أبداً ؛ فَيذْهب الأقوى بالأضعف .

(١) كتبنا فى (المساكين) كلاما كثيراً فى هذه المعانى ، بل الكتاب كله قائم عليها

عصر الخفاء في مصر الاسلامية

٥ـ الحاكم بأمر الله

للأستاذ محمد عبد الله عنان

ولم تقتصر سياسة الحاكم الدينية على هذه الناحية من اضطهاد النصارى واليهود، ولكنها كانت تتناول الناحية الاسلامية أيضاً، بكثير من الأحكام والأوامر الشاذة. وقد كانت الخلافة الفاطمية تحكم في مصر شعباً لا يتبعها من الوجهة المذهبية، وكان العمل على تدعيم هذه الصبغة المذهبية أهم عناصر سياستها الدينية؛ وقد حذا الحاكم في ذلك حذو أبيه العزيز وجده المعز، وعمل لبث الدعوة الفاطمية في قوة وجرأة، ولكن في نوع من التناقض أيضاً؛ ففي سنة ٣٩٥ هـ، أمر بسب السلف (أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية... الخ)، وكتب ذلك على أبواب الجوامع والمساجد والمقابر والحوانيت، وأرغم الناس على المجاهرة به ونقشه في سائر الأماكن. وفي نفس العام أنشأ الحاكم دار الحكمة لتنظيم الدعوة وبثها بطريقة منظمة؛ وسنعود للكلام عنها في فصل خاص. وكان سب السلف مظاهرة شيعية عملية، ولكن سخيفة مبتذلة؛ فلم يلبث أن ضج الشعب لهذا الاجتراء المثير، وألغى المرسوم (سنة ٩٧) وشدد في هذا المنع فيما بعد، وعوقب المخالفون بالضرب والتشهير[1]. وفي سنة ٣٩٨ هـ صدر مرسوم يقرر بعض الأحكام الدينية ويفسرها، على أثر ما وقع بين الشيعة وأهل السنة من خلاف وشغب على فهم بعض الأحكام وتطبيقها؛

(١) المقريزي — ج ٤ ص ٧٣

وهو مرسوم يشف عن روح العصر، ويحمل طابع التوفيق بين المذهبين، وإليك نصه بعد الديباجة:

« أما بعد فان أمير المؤمنين يتلو عليكم آية من كتاب الله المبين، لا إكراه في الدين... مضى أمس بما فيه، وأتى اليوم بما يقتضيه؛ معاشر المسلمين نحن الأئمة، وأنتم الأمة... من شهد الشهادتين... ولا يحل عروة بين اثنين، تجمعهما هذه الأخوة، عصم الله بها من عصم، وحرم عليها ما حرم، من كل محرم من دم ومال ومنكح، الصلاح والأصلح بين الناس أصلح؛ والفساد والافساد من العباد يستقبح؛ يطوى ما كان فيما مضى فلا ينشر، ويعرض عما انقضى فلا يذكر؛ ولا يقبل على ما مر وأدبر من أجزاء الأمور على ما كانت في الأيام الخالية أيام آبائنا الأئمة المهتدين، سلام الله عليهم أجمعين، مهديهم بالله، وقائمهم بأمر الله، ومنصورهم بالله ومعزهم لدين الله، وهو إذ ذاك بالمهدية والمنصورية؛ وأحوال القيروان تجري فيها ظاهرة غير خفية، ليست بمستورة عنهم ولا مطوية؛ يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون؛ ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون؛ صلاة الخميس للذين بها جاءهم فيها يصلون، وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون؛ يخمس في التكبير على الجنائز المخمسون، ولا يمنع من التكبير عليها المربعون؛ يؤذن بحي على خير العمل المؤذنون، ولا يؤذى من بها لا يؤذنون؛ لا يسب أحد من السلف، ولا يحتسب على الواصف فيهم بما يوصف، والخالف فيهم بما خلف؛ لكل مسلم مجتهد في دينه اجتهاده، وإلى الله ربه ميعاده عنده كتابه، وعليه حسابه؛ ليكن عباد الله على مثل هذا عملكم منذ اليوم؛ لا يستعلي مسلم على مسلم بما اعتقده، ولا يعترض معترض على صاحبه فيما اعتمده، من جميع ما نصه أمير المؤمنين في سجله هذا، وبعده قوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، إلى الله مرجعكم جميعاً، فينبئكم بما كنتم تعملون ». والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ كتب في رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة »[1]

(١) نقلنا نص المرسوم عن ابن خلدون ج ٤ ص ٦٠ — والظاهر أن هناك خطأ ماديا في التاريخ، وان صحته هي « ثمان وتسعين » لأن الأمر بسب السلف صدر سنة ٩٥ أي قبل صدور المرسوم، وصدر الأمر بمحوه سنة ٩٧، راجع المقريزي ج ٤ ص ٧١

وإذا ابتُلي فليضمَّ إلى نفسه مَن هو أشدُّ بلاءً منه؛ ليكون همُّه أحدَ همَّين، فيذهبَ الأثقلُ بالأخفّ.

إن الانسان ونفسَه في هذه الحياة كالذي أُعطيَ طفلاً نَزِقاً طَيّاشاً عارِماً متمرِّداً، ليؤدِّبَه ويُحكِمَ تربيتَه وتقويمه، فيثبت بذلك أنه أستاذٌ، فيعطَى أجرَ صبره وعمله، ثم يضيقُ الأستاذُ بالطفل ساعةً فيقتله. أكذلك التأديب والتربية؟

(لهذا المجلس بقية)

مصطفى صادق الرافعي

ومن الصعب أن نحدد موقف الحاكم إزاء الشئون الدينية تحديداً واضحاً ؛ فقد نسبت إليه في هذا الشأن تصرفات كثيرة متناقضة ؛ وقيل إنه حاول أن يعدل بعض الأحكام الدينية الجوهرية كالصلاة والزكاة والصوم ، بل قيل إنه شرع في إلغائها ، غير أنه ليس ثمة ما يدل على أنه ذهب إلى هذا الحد ، على الأقل في الفترة التي نتحدث عنها ، وإن لم يكن ثمة شك في أنه عدل بعض الأحكام والرسوم تعديلاً يجعلها أقرب إلى صبغة المذهبية . وأما عن عقيدة الحاكم الدينية فمن المجازفة أن يقطع فيها برأى حاسم ، ومن المحقق أنها لم تثبت على وتيرة واحدة ، وانها حسبما تدل تصرفاته وأوامره الدينية ، كانت تختلف باختلاف فترات حكمه ؛ ونستطيع أن نصف الحاكم طوراً بعد آخر ، بالتعصب الديني والاغراق المذهبي ، واليقين والتشكك ، والاعان والالحاد ؛ وسنرى عند الكلام عن الدعوة الفاطمية السرية أن الحاكم ، كان في أواخر عصره يذهب إلى أبعد مدى من الغلو والاغراق ، فيؤيد الدعوة السرية إلى نسخ أحكام الاسلام ، وإلى الدعوة بألوهيته وقيامه . ويعترض ابن خلدون بشدة على القول بكفر الحاكم والحاده وإلغائه للصلاة ، ويقول إنه زعم لا يقبله ذو عقل ، ولو صدر من الحاكم شيء منه لقتل لوقته[1] . بيد أن هذا المنطق لا يتفق مع الأدلة والوثائق التي انتهت إلينا عن الفترة الأخيرة من عصر الحاكم وعن تصرفاته الدينية ومؤازرته للدعاة السريين كما سنبين بعد

— ٨ —

ولننتقل إلى ناحية أخرى من تصرفات الحاكم هي تصرفاته المالية . كان الحاكم بإجماع الرواية ، جواداً وافر البذل ، وكان كثير الزهد في المال ؛ وكانت الخلافة الفاطمية قد حققت في عهدها القصير من الأموال والثروات الطائلة من الجواهر والتحف الباذخة مايفيض في وصفه المؤرخون المعاصرون بما يدهش ويبهر ، وتكدس لدى الحاكم من الأموال والتحف ما يجل قدره ووصفه[2] . ولكن الحاكم لم يغرق في تلك المظاهر الفخمة التي كانت تنثرها الخلافة الفاطمية من حولها ؛ وكان يؤثر بطبيعته

(١) ابن خلدون ج ٤ ص ٦٠

(٢) راجع المقريزي فيما نقله عن المسبحي وغيره من مؤرخي الدولة الفاطمية عن غنى هذه الدولة ووفرة بذخها وبهائها (ج٢ص٢٥١ — ٢٨١) وراجع النجوم الزاهرة فيما نقله عن ثروة الحاكم بأمر الله (ج٤ص١٩٢)

مظاهر الانكماش والبساطة ، وكان خلافاً للطغاة يعف عن مال الرعية ، فاذا بدا له أن يصادر مال كبير مغضوب عليه فانه يضيفه إلى الأموال العامة ، وقد أنشأ لذلك ديواناً خاصاً يسمى بالديوان « المفرد » تضاف إليه أموال من يقضى عليهم بالمصادرة ؛ وقد ترد هذه الأموال الى أصحابها متى زالت أسباب السخط عليهم ؛ وقد تبقى نهائياً وتستعمل في الشئون العامة[1]

واشتهر الحاكم طوال عهده بالسخاء والبذل ، وكان يسرف في العطاء أحياناً إلى حدود تهدد مالية الخزينة ، وتثير اعتراض الوزراء ورجال الدولة ؛ ومما يؤثر في ذلك أن أمين الأمناء الحسين ابن طاهر الوزان اعترض ذات مرة على إسراف الحاكم في الصلات والعطايا ، وبلغ الحاكم اعتراضه وتوقفه في تنفيذ الأوامر ، فبعث اليه بخطه في الثامن والعشرين من رمضان سنة ٤٠٣ بهذه الرقعة المؤثرة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله كما هو أهله ومستحقه :

أصبحت لا أرجو ولا أتقى   إلا إلهي وله الفضل
جدى نبي ، وإمامى أبي   وديني الاخلاص والعدل

ماعندكم ينفد ، وما عند الله باق ، والمال مال الله عز وجل ، والخلق عيال الله ، ونحن أمناؤه في الأرض ، أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام »[2] وكان ذوو الحاجات يقصدون الحاكم أثناء طوافه ، سواء بالنهار أو الليل ، ويرفعون اليه حاجاتهم وظلاماتهم ، فيقضى فيها بنفسه ، ويقضى حاجات الكثيرين ، وينثر العطايا على المحتاجين[3] . بيد أنه لم يكن يخلو في ذلك من الشذوذ أيضاً فيبخل أحياناً بأقل الصلات[4]

وكان الحاكم يميل إلى التخفيف عن الشعب في أمر الضرائب فكان يرفع عنه أحياناً بعض المكوس حين الأزمات العامة ؛ وقد يعيدها طبقاً للظروف والأحوال ؛ ولما فتحت دار الحكمة كان من رسومها أن يؤدى « المؤمنون » مال النجوى ، وهو رسم اختيارى ينفق من دخله على النقباء ، وكانت تحصل أحياناً وتبطل أحياناً

(١) المقريزي ج ٣ ص ٢٣

(٢) الاشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٩ وينسب ابن خلدون هذا الشعر إلى الخليفة الآمر بأحكام الله (ج ٤ ص ٧١)

(٣) النجوم الزاهرة عن ابن الصابى (ج ٤ ص ١٨٠)

(٤) ابن تزأوغلى (النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٧٦)

— ٩ —

إلى جانب هذا الجود الشامل ، وهــذا التعفف عن أموال الرعية ، كان الحاكم يتمتع بخلة أخرى أجمع المؤرخون على الاشادة بها ، تلك هي زهده وتقشفه في مظاهره العامة وفي حياته الخاصة ، ثم تواضــعه المؤثر واحتقاره للرسوم والألقاب الفخمة التي كان يحيطه بها ملك قوى وخلافة باذخة . وكان لأول حكمه قد أمر بمنع الناس كافة من مخاطبة أحد أو مكاتبته بسيدنا ومولانا إلا أمير المؤمنين وحده ؛ ثم عاد فأصدر أوامره ، بألا يقبل أحد له الأرض ، ولا يقبل أحد ركابه ولا يده عند السلام عليه ، إذ لا يجوز الانحناء إلى الأرض لمخلوق ، وإنما هي بدعة من صنيع الروم لا يجمل أن يجيزها أمير المؤمنين ؛ ويكفي في السلام الخلافي أن يقال : « السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » ، كذلك يجب ألا يصلى عليه أحد في مكاتبة ولا مخاطبة ، بل يقتصر في ذلك على « سلام الله وتحياته ونوامى بركاته على أمير المؤمنين » ويدعى له بما تيسر من الدعاء فقط ، وقد كانت الصلاة على أمير المؤمنين من أخص رسوم الخلافة الفاطمية ، وكانت الامامة عنوانها ، وكان يصلى على الخليفة كما يصــلى على النبي في الخطبة ، وفي المكاتبات والمحادثات الرسمية . ولكن الحاكم أبطل هــذه الرسوم ولم يقل الخطباء يوم الجمعة سوى : « اللهم صلى على محمد المصطفى ، وسلم على أمير المؤمنين على المرتضى ، اللهم وسلم على أمراء المؤمنين ، آباء أمير المؤمنين ، اللهم اجعل أفضــل سلامك على عبــدك وخليفتك . . . . ألخ » ، ومنع الحاكم أيضاً ضرب الطبول والأبواق حول القصر ، فصار الحرس يطوفون بلا طبل ولا أبواق . وركب الحاكم يوم عيد الفطر (٤٠٣ هـ) إلى المصلى بلا زينة ولا جنائب ولا موكب فخم ، واكتفى بأفراس عليها سرج ولجم محلاة بفضة خفيفة ، وبنود ساذجة ، ومظلة خلافية بيضاء بلا ذهب ، يرتدى البياض بلا حلية ولا ذهب ، وعمامة دون جوهر ، ولم يفرش المنبر ، ولم تتخذ بالمسجد أهبات غير عادية ، وركب إلى الصلاة في عيد الأضحى على هــذا المنوال البسيط [1]

(١) المقريزى — ج ٤ . ص ٧٢ و ٧٣

وكانت هــذه النزعة إلى البســاطة تسود معظم المواكب والاستقبالات الرسمية . وكان الحاكم يركب في المدينة في أبسط المظاهر الديمقراطية التي تذكرنا بديمقراطية المسلمين الأوائل ؛ فيرتدى ثياباً بسيطة ، أو يرتدى دارعة صوف بيضاء ويتعمم بفوطة وفي رجله حذاء عربي ساذج ، وقد يركب فرساً بلا زينة أو حماراً ، وفي أحيان قليلة يركب محفة يحملها الرجال ، وعشارية تشق به النيل ؛ وكان أغلب طوافه بالقاهرة على الحمير دون موكب ولا ضجة ، لا يصحبه من الحشم سوى بضعة من الركابية ؛ وكان كثير الاتصال بالشعب فكان القصر مفتح الأبواب للمتظلمين وذوى الحاجات ؛ وكان يستمع إليهم أثناء طوافه وينظر في مطالبهم كما قدمنا

وأما عن حياة الحاكم الخاصة فلم تصلنا سوى لمحات ضئيلة ؛ ولكن لا ريب أنه كان يعيش بنفس البساطة التي كان يبدو بها في مظاهره الرسمية ؛ وقد رأينا كيف اضطلع الحاكم بأعباء الحكم صبياً دون السادسة عشرة ، وكيف أن انهماكه بالشئون العامة منذ حداثته لم يترك له فرصة للانغماس في مجالي اللهو والعبث التي يغرق فيها من كان في سنه وفي ظروفه ؛ وقد كان الحاكم تحمله بلا ريب نزعة صوفية فلسفية ؛ ذلك أنه كان يرى في التقشف مثله ، ويحتقر متاع هذه الحياة الدنيئة ؛ ويرتفع عن مفاسد هذا المجتمع وعن غرائزه وشهواته النفسية الوضيعة . ولم يقل لنا أحــد ممن كتبوا عن الحاكم ، معاصرين أو متأخرين إنه كان يتصف بشيء من الرذائل الاجتماعية ، بل تدل أقوالهم جميعاً على أن هذا الطاغية الفيلسوف ، كان نقياً في حياته الخاصة ، بعيداً من هذا الترف الناعم الذى يفت في الأجسام والأرواح القوية ، متقشفاً في مأكله وملبسه ، حتى قيل إنه لبث أعواماً يرتدى الصوف ، وأنه امتنع عن دخول الحمام [1] . والخلاصة أن هذه الشخصية العجيبة التي تقدم إلينا من نواحيها العامة في صور مثيرة مروعة ، تحملنا من نواحيها الخاصــة على الاعجاب والاحترام بما تشف عنه من سمو ونقاء واحتقار للشهوات الانسانية

للبحث بقية
(النقل ممنوع)

محمد عبد الله عنان
المحامى

(١) ابن قزأوغلى في مرآة الزمان (النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢٦)

المكتبات المدرسية
والمتنقلة بانجلترا [1]
بقلم الأستاذ محمد عطية الابراشي
المفتش بوزارة المعارف

ليس فى المدرسة الانجليزية مكتبة واحدة فحسب ، بل فى كل فصل من فصول المدرسة مكتبة صغيرة للتلميذ ، بها كتب مدرسية وأدبية تناسب المستوى العلمى للفصل ، وبها مصورات جغرافية ، وروايات تمثيلية ، وكتب للمراجعة . ويقوم كل فصل بانتخاب أحد تلاميذه للعناية بالمكتبة ، وهو مسئول عن ترتيبها ونظامها ، فيحضر الكتب منها وقت الحاجة الى استعمالها ، ويعيدها الى مكانها بمساعدة بعض إخوانه بعد الانتهاء من الدرس

ولكل تلميذ الحق فى أن يستعير من الكتب ماشاء لمدة معينة ؛ بأن يذهب الى دفتر الاعارة فيكتب فيه اسم الكتاب الذى استعاره ، واسم المؤلف ، ورقم الكتاب ، وتاريخ الاستعارة ثم يمضى . والأمانة سائدة بين التلاميذ ، فحينما ينتهى التلميذ من قراءة الكتاب فى المدة المعينة يعيده الى موضعه فى المكتبة ، فلا يضع رقم (١٠) مثلاً موضع رقم (١٠٥) . وبهذه الوسيلة يتعود التلاميذ النظام ، ويبث فيهم روح التعاون . وإذا لم يستعر أحد التلاميذ شيئاً سأله مدرسه عن السبب ، وكلفه بالاستعارة ، ثم اختبره بعد الانتهاء من قراءة الكتاب فى موضوعه ، وسأله عن أحسن قطعة قرأها فيه ، وأحسن رجل أعجب به ؛ وبهذه الطريقة يضطر كل تلميذ الى أن يستعير ويقرأ ، ويشجع التلاميذ على البحث والاطلاع . وإذا اعتاد الفتى أن يقرأ كتاباً فى الخارج كل أسبوعين مثلاً قرأ ما ينيف على العشرين كتاباً فى السنة ، فتكثر معلوماته ، ويشعر بحب الكتب من الصغر

وحبذا الأمر لو فكر كل مدرس لدينا فى أخذ طلبته الى مكتبة المدرسة ، وشوقهم إلى القراءة والاطلاع ، وفهمهم طريقة البحث فى الكتب ، وحثهم على الاستعارة والمطالعة فى أوقات الفراغ

(١) من كتاب « نظام التعليم فى انجلترا » — تحت الطبع

وزيادة على المكتبات المدرسية تجد فى كل مدينة انجليزية مكتبة عامة أو أكثر فى المدن الكبيرة . وفى كل منزل انجليزى مكتبة بها الكثير من الكتب الأدبية والعلمية والصحية ، ويهدى لكل طفل انجليزى كثير من الكتب التى تناسب سنه فى يوم ميلاده وفى عيد الميلاد كذلك

وقد تكون للطفل مكتبة خاصة به ، وحجرة خاصة بلُعبه أو تمرْ بَى (Nursery) إذا كان من أسرة متوسطة أو غنية . ولا أبالغ إذا قلت إن الطفل فى انجلترا رجل صغير ، قوى الملاحظة ، كثير الآراء والأفكار الصائبة ، فقد يقول لك قبل أن ترى المدرسة : إن هذا الفيل من الهند ، ولو فقد هذا الجزء من السيارة لحدث كذا ، وهذا الجزء من الطائرة اسمه كذا ، ووظيفته (العلمية) كذا ، ولقد حدث (لعلى بابا) فى ألف ليلة وليلة كيت وكيت

المكتبات المتنقلة بانجلترا

وهناك أيضاً مكتبات متنقلة تنتقل من المدينة الى القرية مثلاً بوساطة سيارة ممدة لأن تكون مكتبة ، تنقسم أربعة أقسام وهى : قسمان للروايات ، وقسم للكتب العلمية المختلفة ، والقسم الرابع خاص بكتب الأطفال . وتقوم هذه المكتبات بعمل جليل فى نشر العلم ، وإعطاء الفرصة لسكان القرى النائية الأطراف فى أن يستعيروا ما يريدونه من الكتب للقراءة والاستفادة . وهى منتشرة الآن فى جميع أنحاء انجلترا

وتعدّ المكتبة المتنقلة فرعاً من المكتبة العامة التى تمدها بما تحتاج إليه من الكتب . ويقوم بادارتها موظف تابع لمدير المكتبة العامة . وفى (كِنت) مثلاً — وهى إحدى الضواحى التابعة للندن — مكتبة متنقلة أنشئت فى نوفمبر سنة ١٩٢١ وبها نحو ١٥٠ ألف كتاب للاستعارة ، يستعيرها القراء بالتناوب ، ويتداولونها بينهم واحداً بعد الآخر ؛ فى سنة ١٩٣٠ قد بلغ المستعيرون من هذه المكتبة ١٢٢٣٠٠٠ وهذا العدد يدل على كثرة الاقبال على القراءة ، وعلى أن انجلترا من أكثر الأمم حباً للقراءة ، فلا تركب قطاراً أو سيارة عامة إلا وتجد فى أيدى كل فرد صحيفة ، أو مجلة ، أو كتاباً . فالمكتبة المتنقلة قد سدت فراغاً كان الناس يشعرون بالحاجة الى ملئه منذ زمن ليس بالقصير . وفى

(كنت) سيارتان تملآن من المكتبة الرئيسية العامة بها ، ثم تزوران كل قرية فى تلك الجهة مرتين أو ثلاث مرات فى السنة ، وقبل قيام المكتبة من (كنت) وهى المركز الرئيسى فى تلك الجهة يخبر القائم بأمور المكتبة فى القرية بوقت وصول السيارتين اليها حتى يستطيع استدعاء عدد كبير من المستعيرين للمساعدة فى اختيار المجموعة الجديدة من الكتب ، ورد ما يمكن رده من المجموعة القديمة التى كانوا قد استعاروها من قبل . وينتهى الأمر وهو رد الكتب القديمة ، وأخذ كتب أخرى بدلها فى نحو ساعة من الزمن

وكتب الأطفال فى المكتبات المتنقلة أقل من كتب غيرهم من القراء . وحب القراءة مشاهد لدى كل طفل ، وبخاصة قراءة القصص والحوادث . ومن الصعب أن تشبع رغبات الأطفال فى الحكايات وقراءتها . وليس فى هذه المكتبات من الكتب ما يكفى كل الأطفال ، ففى (كنت) مثلاً ٧٥٦٦٦ طفلاً فى المدارس الأولية ، وليس فى قسم الأطفال بالمكتبات إلا نحو ٣٢ ألف كتاب ، ولذا يضطر رؤساء المكتبات إلى جعل الاستعارة خاصة بمن تبلغ سنه ١٢ سنة . ويقص الرؤساء أحياناً بعض الحكايات المحزنة لرفض مطالب كثيرين من صغار الأطفال ، ثقة بأنه كلما كان الكتاب جميل المنظر ، جيد الطبع ، كثرت عنايتهم به . ولا يزال الكتاب لدى الطفل القروى شيئاً ثميناً . فالمكتبات المتنقلة والمدرسية والعامة تقوم بخدمة جليلة للتلاميذ وغيرهم ممن يحبون القراءة ، ويجدون مسرة فيها

ودور الكتب العامة مملوءة بالقراء . وهناك نوع من المكتبات التجارية التى تخصص قسماً منها للاعارة نظير دفع اشتراك سنوى يسير . فلدى كل فرد صغير أو كبير ، غنى أو فقير ، الفرصة فى أن يجد ما يريده من الكتب ، من أى نوع من الأنواع

وفى وصف الكتاب وفوائد الكتب ، قال نابغة العرب ، وأديب العلماء ، والعالم بين الأدباء « أبو عثمان عمرو الجاحظ »(١) « الكتاب وعاء ملىء علماً ، وظرف (٢) حشى ظرفاً (٣) ، وبستان يحمل فى رُدن(١) ، وروضة تقلب فى حجر ، ينطق عن الموتى ، ويترجم كلام الأحياء . » وقال : « . . . ولا أعلم نتاجاً فى حداثة سنه ، وقرب ميلاده ، ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده ، يجمع من التدابير الحسنة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأخبار عن القرون الماضية ، والبلاد المتراخية ، والأمثال السائرة ، والأمم البائدة ما يجمع الكتاب »

ودخل الرشيد على المأمون وهو ينظر فى كتاب ، فقال : ما هذا ؟ فقال : كتاب يشحذ (٢) الفكرة ويحسن العشرة ، فقال : الحمد لله الذى رزقنى من يرى بعين قلبه أكثر مما يرى بعين جسمه

وقيل لبعض العلماء : ما بلغ من سرورك بأدبك وكتبك ؟ فقال : هى إن خلوت لذتى ، وإن اهتممت (٣) سلوتى ، وإن قلت إن زهر البستان ونور (٤) الجنان يجلوان البصر ، ويمتعان بحسنهما الألحاظ (٥) ، فان بستان الكتب يجلو العقل ، ويشحذ الذهن ، ويحيى القلوب ، ويقوى القريحة ، ويعين الطبيعة ، ويبعث نتائج العقول ، ويستثير (٦) دفائن القلوب ، ويمتع فى الخلوة ، ويؤنس فى الوحشة ، ويضحك بنوادره ، ويسر بغرائبه ، ويفيد ولا يستفيد ، ويعطى ولا يأخذ ، وتصل لذته الى القلب ، من غير سآمة تدركك ، ولا مشقة تعرض لك

وفى الكتب العربية آيات بينات عن الكتب وفوائدها ، شعراً ونثراً فليرجع اليها من أراد الزيادة

محمد عطية الابراشى

(١) ولد سنة ١٦٠ هـ . وتوفى سنة ٢٥٥ هـ . (٢) وعاء
(٣) كياسة وبراعة وذكاء

(١) كم (٢) يقوى (٣) حزنت واغتممت
(٤) زهر (٥) المراد بها العيون (٦) يظهر

قصيدة شوقى

فى مهرجان الملك فيصل

بقلم الاستاذ حسين الظريفى

لما اعتزم مغنى مصر الكبير الأستاذ محمد عبد الوهاب السفر الى العراق عام ١٩٣٢، رأى المغفور له شاعر الضاد وأمير الشعراء أحمد شوقى بك، ألا يدع الفرصة تفوت دون أن يملأها بما يريد، فألف قصيدته الخالدة التى أثنى فيها الثناء الجم على أمة العراق ومليكها ساكن الجنان فيصل الأول

وقد أنشد الأستاذ القصيدة على مسرح المرض الذى أقيم فى بغداد فى السنة المذكورة، وأنشدها أمام الملك فى قصره فى حضور رجال الدولة وكبار الساسة وأعيان البلد وجمهور المستمعين من شتى الطبقات. ثم رأينا مكروفون المذياع وأبواق الحاكى تعيد لنا ما أبدع به محمد عبد الوهاب على مسرح المرض حتى شاعت القصيدة وذاعت على الأفواه. والذى نريد إثباته فى هذه الفرصة هو أن مطلع القصيدة وبيتاً آخر قد كثر حولهما كلام الناس فى بغداد. وانتقدهما غير واحد من الشعراء، وكان أكثر هؤلاء المنتقدين — على ما أعتقد — يجهلون معنى البيت جهلاً تاماً، وبهذا الجهل انحدروا الى التهجم على شاعرية شوقى، وهو الشاعر الفرد الذى أضاف الى لغة الضاد مادة جديدة من معانيه المبتكرة. وانتقل بالشعر فى بعض مواقفه من عالم الطبيعة إلى ما وراءها، حيث تجتمع الفلسفة والشعر الرفيع فى نقطة واحدة

ولذلك أحببت أن أعرض رأيى الخاص فيما يجب أن يحمل عليه البيتان. وأولهما وهو مطلع القصيدة:

يا شراعاً وراء دجلة يجرى فى دموعى، تجنبتك العوادى

وقد رأى كثير من الشعراء والأدباء، أن المخاطب بهذا البيت هو جلالة الملك فيصل، والحقيقة أن الخطاب الى الأستاذ محمد عبد الوهاب، لعدم إمكان حمله على غيره، ولدلالة الأبيات التى تلى هذا البيت، وهى:

سر على الماء كالمسيح رويداً واجر فى اليم كالشعاع الهادى

وائت قاعاً كرفرف الخلد طيبا أو كفردوسه بشاشة وادى

وقد شبه الشاعر — محمداً — بالشراع لما شاع وذاع من أمر غنائه فى البلاد، وهو تشبيه يمت بصلة قوية الى التشبيه بالعلم بمعنى الجبل كقول الخنساء فى أخيها صخر — كأنه علم فى رأسه نار — وأراد بقوله وراء دجلة — يقصد دجلة. وذلك عند اعتزام المغنى السفر إلى العراق

ولما كان محمد عبد الوهاب دائم التغريد بما يؤلف له شوقى بك من قطع الشعر والقصائد، وكانت أكثرية هذه القصائد تمتج بلواعج الهوى بحيث تحمل دموع الشاعر الغزيرة من أثر الحب فيه، جعل الشراع جارياً فى هذه الدموع، بأنشاد المغنى قصائد الشاعر. فكأن شوقى يقول: يا من اعتزم السفر الى العراق وهو كأنه الشراع فى الشهرة، مرتلاً قصائدى التى هى كالدموع فى الهوى، وهو يجرى فيها كالشراع — تجنبتك العوادى — وحفظك الله من كل مكروه

وهذا البيت ولا ريب من أنبغ الشعر، وهو ابن العبقرية التى أصبح فيها لشوقى الخلود، وللغة الضاد التيه والفخر

وأما البيت الثانى فقوله:

قف تمهل، وخذ أماناً لقلبى من عيون المها وراء السواد

والمخاطب فيه محمد عبد الوهاب أيضاً، والسواد هو العراق من قولهم — أرض السواد — ولا يمكن أن يحمل المعنى على أن الظباء كائنة وراء العراق، إذ لا يمكن أن يكون هذا قصد الشاعر، وإلا فسد عليه المعنى، ولأن سائر أبيات القصيدة إنما تبحث عن العراق ومليكه وساكنيه، وقد ذهب إلى هذا التفسير الباطل كثير من الشعراء والأدباء، اغتراراً بظاهر اللفظ مع أن الواقع خلاف ما يدعون. وزعم قوم أن المراد بالسواد هنا — سواد العيون — وبهذا التفسير يختل معنى البيت ويبقى مهملاً لا يشير إلى شىء

وادعى آخرون أن معنى البيت فاسد من أصله، وقالوا فى تعليل الفساد إن لفظ البيت يؤدى إلى وصف الظباء خارج العراق، وذكر ذلك لا مكان له فى القصيدة، مع أن هذا غير مقصود من الشاعر كما سبق ذكره، وبالنظر لروحية القصيدة ولظروف وضعها ولخواطرها المتسلسلة

وذهب غيرهم إلى حمل البيت على إرادة الحجاب بالسواد، كأن أعين الحساد تستطيع التأثير على قلوب الناس، وهى متحجبات من وراء نقاب. وهذه مبالغة لم نر لها مثيلاً فى شعر شوقى، وقد يتجاوز هذا المفهوم حدود المبالغة الى تكذيب الواقع له

والذى أراه فى هذا البيت ، هو أن القادم الى العراق إنما يرى منه السواد قبل كل شئ فيه ، بالنظر لكثرة ما فيه من خمائل ومزارع ونخيل حتى عرف فى التاريخ بهذا الأسم ، وبذلك تكون الظباء وراء السواد بالنظر إلى القادم اليه ، وهى فى أثنائه فى حقيقة الأمر الواقع . وهذا البيت ولا شك من وحى العبقرية أيضاً ، وفيه أبلغ ما تصل اليه رقة الشاعر فى شعره

وإننا نجد المبرز فى الشعر قد يرتفع فى كل قصيدة من قصائده بالبيت أو البيتين أو الثلاثة أو ببضعة أبيات . ولكنه مع ارتفاعه هذا لا يغيب بشعره عن أعين القراء . غير أن شوقى قد شب فى الشعر عن الطوق ، وبذ زملائه الشعراء فى كل بيت يرتفع فيه عن مستوى الشعر حتى يتوارى فيه عن الأبصار . فلا تكاد تقع عليه إلا بعد الجهد الجهيد ، ولا تنظر اليه إلا من بعيد كما ظهر لقراء الضاد فى هذين البيتين ، ونحن لا نشك فى أن فهمهما يحتاج الى مجهود عقلى كبير ، وتلك ميزة النابغ من الشعر ، تفرد بها شوقى عن شعراء جيله ، وبها فضل الجميع

وهنا أود أن أذكر ملاحظة العالم النفسى الدكتور ناجى بك الأصيل حول شاعرية أحمد شوقى بك ، قال الدكتور : على الجيل الحاضر أن يحدد شاعرية شوقى بك فى المدى الذى بلغت اليه ، وإلا فان الأجيال القادمة سوف تخطئ فى تقديره . ولعل هذه الفكرة بأن هناك من الشعر لشوقى ما قاله وهوفيما وراء الشعور ، ومع مافى هـذه الفكرة من العلو والنضوج فانها لا تأتلف والحقيقة . لأن مثل هـذه الأبيات التى يشير اليها الدكتور هى من وحى الالهام ، وقد قالها شوقى وهو فى غيبوبة العبقرية وبها استحق كل هذا التقدير من أبناء الضاد وأصبح له فيها الخلود ، ولا يمكن أن نحمل على أن شوقى قال ما لم يدر ، أو أن شاعريته أقل من شعره ، لأن فى ذلك المنطق المغلوط . ولعل الدكتور ينحرف فى فكرته قليلاً إلى القول بوجوب تحليل أبيات شوقى التى قالها فى غيبوبة العبقرية ، لئلا تفوت الأجيال القادمة بعض الدقائق النفسية التى يعرفها الجيل

هذا ما عنّ لى ذكره فى هذين البيتين اللذين كثر حولهما القيل والقال ومن كان له فيهما شيء يقال فليأت بما عنده ، إذ الحقيقة بنت البحث

بغداد — صبيح الغافقى المحامى

بين الرعاية والجد

القديس « تبريها » !!

قد يبدو غريباً أن نترجم لشخص لما يمض شهران على مولده ، وإنه لغريب حقاً ، ولكن الذى دعانا الى أن نكتب عنه وأن نترجم له ، هو أنه ولد ولم يلبث أن شب واكتهل وحصل على درجة القديسين ، وغشى دور كثير من العظماء والأدباء والعلماء ، وإن لم يعرفه بعض أولئك الذين دخل عليهم دورهم

ولد القديس تبريها فى شهر مارس سنة ١٩٣٥ م . وولد فى مصر وفى بيئة عظيمة جداً إلى أقصى حدود العظمة . وهنا نستمهل القارئ برهة وجيزة نخرج فيها الى موضوع آخر عرض لنا . ثم نعود الى قديسنا العظيم

قرأت كتاب الدكتور هيكل « حياة محمد » من عنوانه الى إمضاء الدكتور فى آخر صفحة منه ، وكنت أجد من السرور لقراءته ما ينسيني نفسى وما يتعلق بها من شئون الحياة

وكانت تأخذنى فى كثير من مواقفه تلك الروعة العظيمة التى صورها المؤلف عند وفاة الرسول إذ يقول : « استعيد الساعة صورة هذا المشهد الرهيب ، فأرانى شاخصاً له مأخوذاً به ممتلئ القلب من جلال هيبته أكاد لا أجد إلى الانصراف عنه سبيلاً »

فرغت من قراءة الكتاب وفى نفسى من الآثار لكثير من حوادثه ما فى نفس الدكتور هيكل لوفاة الرسول

طفقت أقلب الصفحات الأخيرة من الكتاب عن غير قصد حتى وصلت من فهرس الأعلام الى حرف التاء فى صفحة ٥١٢ فوقف نظرى عند اسم القديس (تبريها) فجعلت أستعيد فى ذاكرتى ما قرأت فوجدتنى لا أذكر هذا الاسم ، ولا لأى شىء ورد ذكره ، فأسفت على أن لم أع مما قرأت شيئاً

ثم رأيت أمام اسم القديس فى الفهرس أن اسمه ورد فى صفحة ٤٣ من الكتاب ، فرجعت اليها لأعرف ذلك الذى شرد عن ذهنى ، فاذا بى أجد فى تلك الصفحة هذه العبارة :

«وإن الذين زاروا كنيسة القديس بطرس في رومية ورأوا

دين البـــادية

عن لامرتين

للأستاذ التنوخي

عضو المجمع العلمي العربي وكاتب سره

وأولئك اللاحون السابحون الى الأبد على بحار من الرمال ، قد أكسبهم الاعتياد أخلاقاً متشابهة ، بمشاهدة مناظر متشابهة ، وسكنى منازل متشابهة ، وبنقلهم المستمر لخطوات متشابهة ، فى طرق ومسالك متشابهة ، فسجاياهم على ذلك مشابهة لسجية البادية . إنهم لتمسكون بدينهم تمسك اللانهاية بهم ، وأحرار بحرية الفضاء المكشوف لهم ؛ وجوّالون تجوال الجواد الذى يُقلهم ، والناقة التى تحملهم ، والقطيع الذى يتبعهم ؛ وهم أجاويد مثل الخيمة المفتوحة أبداً لأخى الأسفار ، أضلته مجاهلُ القفار ؛ ومغاوير لهم جرأة المدين بحياته لقوة عضلاته ، والمضطر للذود عن حريته ومأواه ، والدفاع عن مائه ومرعاه ، من غزوات القبائل والغارات المداهمة ؛ وهم بحكم العادة ميالون كالوحدة الى الصمت ، ومولعون بالحديث أحيانا ، شأن الانسان الذى يلاقى بعد طوال الوحشة أخاه الانسان فيحدثه عن كل شئ ، ويستخبره عن كل شئ ؛ وهم مفطورون على الشعر وعلى التأمل فطرة الليل والنهار ، والكواكب والآفاق التى يقع عليها أبصارهم أبداً ؛ وهم قصّاص بارعون لاضطرارهم الى قضاء ساعات الفراغ الطويلة فى سرد الحكايات والأخبار والعجائب إما تحت الخيام أو حول الآبار تسلية للقلب من البلبال ، وتزجية لساعات الفراغ والملال

قدم تمثال القديس تبريها قبلات عبادة المؤمنين ، حتى لتضطر الكنيسة الى تغييرها كلما انبرت ليمفرون أولئك الذين ... الخ »

عندئذ فقط عرفت ما شرد عن ذهني ، وعرفت ذلك القديس العظيم الذى ولد فى مصر وفى مطبعة مصر

وعرفت أنه ولد على يد واضع فهرس الأعلام ، وعرفت أن ذلك الواضع هو أبو ذلك القديس العظيم ! !

أبو مجاج

إن من لم يكتحل بمشاهدة غروب الشمس فى ضبابة حمراء من الجحيم يعكس نورها ذلك الرمل المنتشر ما بين النهرين ، أو بلاد الكلدان ، ومن لم يراقب طلوع الكواكب متهاديةً ، ثم هبوطها فى ليالى الشتاء على بحر محيط من الأثير الأزرق ، أعمق من الفكرة التى تغوص فيه ، وأصفى من ماء البحر فى رأس الأرض المنتصب الذى يحول دون لألائه والتجمّد ، ومن لم يسمع همس تلك النسمات المتوالية من ريح لم يتم فى البادية سكونها ، وكيف تهيم بصوتٍ رخّمه فى المسامع مروره على تلك الروابى والهضاب ، وعلى عذبات أوراق الأعشاب ، ومن لم يطرح طرفه كل مطرحٍ فى ذلك الفضاء الذى لا وراء بعدَه ، والذى يغيب فى الله أفقه الرحيب ، ومن لم يبصر فى تلك الظلال الجانبية من الجمال الباركة كيف ترتسم صورها فى أجواز السماء ، وهى جامدة جمود تلك الصور الجانبية من ظلال تماثيل أبى الهول الصخرية على سود تلك الرمال المصرية ، من كان هذا شأنه لا يحق له أن يحكم على ذلك العربىّ المنتجع لمواطن الماء والكلأ ، ولا على ذلك السحر الذى يستهويه ، وبقضاء الله الذى يرضيه

أجل إن تلك الارتسامات والحساسات ، وما يعرو الانسان فى البادية من وساوس وهواجس لبعيدة المصدر بعداً يخيّل معه للمرء أنها صادرة عن اللانهاية نفسها ، وأن تلك الأنوار المنهمرة أمطارا من النار على الروابى والبوادى ، لم تنهمر قطّ على سطوح المدن والقرى ، ولا تلوثت بالدخان المتصاعد من مداخن المساكن ، وفى آناء الليل والنهار لا يحول بين الروح وصانعها حائل ، فيشعر الانسان لذلك بيدٍ خفيةٍ لكنها ملموسة ، هى يدُ الخالق على خلقه ، ويبصر فى كل لمحة تجلى الصانع خلال ذلك البحر من الضياء الذى يغمره ، وفى حدود ذلك الأفق الذى يكتنفه من الغموض ما يخيل للمرء أن لا وراء بعده إلا المجهول ، وفى ظلال الليالى تجوس الأبصار خلال الكواكب فتلحقها أو تسبقها إلى منازلها ، فهى تشهد بدون حجاب ذلك النظام المحكم ، بل ذلك الاتقان الناطق بكلمة الايمان !

إن الدين وهذا الايمان المستقر فى الأرض منشؤه علم النجوم فى بوادى كلدة ، وإن الحروف التى يتألف منها الاسم الالـهىّ تقرأ بأبهر مبنى وأعمق معنى ، وهى منقوشةٌ على ألواح السموات ،

وإن المخيلة لتغتذى برؤى السماء ورُق الأضواء ؛ وإن التجليات الخارقة الغيبيّـة مع تجسيم الحقيقة بالأوهام ، لا تزال منـذ بدء العالم على حالها ، والرجل المدثر برداء التقوى والأعان لا يتأثر إلا بالانفعال الذى هو به جدير : أعنى به انفعال اللانهاية والخلود

إن جميع العقائد لمنبعثة من تلك الخلوات منذ عهد الالـه (الـكوكب) مركز عوالم زرادشت ، حتى (الله) رب محمد ، ومنذ الالـه المشرع (يهْوه) موسى ، حتى الالـه (الـكامة) التى يبحث عنها متى سجا الليل رعاة بيت لحم

فالعربىّ (وهو السر المـكنون كالسكون ، والمتأمل كالليل ، والمستوحش كالوحدة ، والمصدّق بالمعجزات كرقية السحر الخالدة يُستنزل بها الوحى ، ويُسترق بها السمع) ، له من قوة الحواس ما يدرك بها الله فى الصحراء أكثر منا : إن حياته لعبادة أبدية ، فهو لا يلهيه عن الخالق شىء ، ورحابة البـادية التى لا حد لها هى معبده والمحراب ، فما كان لهذه الطبيعة أن تلتقى والالحاد أبداً

أمع مثل هذه الطبيعة يتاح لبدوىّ أن يلحد يوماً ؟ خذوا أىّ زنديق من زنادقة الغرب ، واقذفوا به بضع سنين الى المشرق تجدوه لا يخرج منـه إلا معافىّ من تلك العـاهة الروحية : إن الالحاد لا ينشأ إلا فى الظلال ، وفى مواطن الحرمان من التأمل والخيال ، ومدن الغرب التى يصاب فيها المرء بدُوار الرأس والخبال ؛ إن الشمس لتستأصل شأفة الـكفر والالحاد والشبهات ، لأن تلك السموم البادرة لا تنمو إلا فى الظلمات ؛ وإن ذلك الفضـاء الرحب ، وهو ملك البصر ، ليمنح العربى من الشعور بكرامته ما هو أشد من البادية عنجهيةً ، وأكثر منها حرية ، ذلك أن الجماعة تسحق الأفراد والوحدة تسمو بهم ، والمنفرد يشعر بعظمته فى كل حين ، لأنه إنما يقيس نفسهُ بالنظر الى عظمة الطبيعة وسعة سلطانها ، لا إلى تلك القيمة العددية الخفية التى يمثلها بكيانه بين ظهرانى جمهور لا يُحصى من مدينـة غاصة بأحيائها ، وأمة كبيرة بوفرة أبنائها . إن هذا الشعور بالعظمة الذاتية ليجعل من الانسان مخلوقاً غير خليق بالصغار ، ويحمله على إباء الضيم والعبودية ؛ أجلْ إن العربى ليخضع لدينه ولرياسة الأسرة الالـهية ، ولعادات السادات شريعة العرف المقدسة ؛ ولـكنه لا يخضع للقوة الغاشمة أبداً !

التنوخى
عضو المجمع العلمى العربى وكاتب سره

فتح العرب للأندلس

بقلم فريد مصطفى عزّ الدين

فى مدة قصيرة لا تتجاوز عقدين من السنين ، ولا تساوى فى حياة الأمم فترة من حياة الأفراد تمكن العرب من تدويخ امبراطوريتين كانتا أعظم دول ذلك العهد . فاكتسحوا الأمبراطورية الفارسية وثلوا عرش أكاسرتها ، وسودوا دينهم ولغتهم على سكانها ، وكانوا فى الوقت ذاته ينتزعون من الامبراطورية البيزنطية ولاياتها الشرقية الواحدة تلو الأخرى . فدخلت سورية الـكبرى ومصر ، وطرابلس الغرب ، وتونس والجزائر والمغرب الأقصى فى دولتهم الفتية ، وانضوى سكانها تحت راية القرآن والدين الحنيف

وكأنى بالفاتحين وقد جثموا على الشاطئ الأفريقى ، ورأوا قبالتهم الشاطئ الأوربى لا تفصلهم عنه إلا شقة ضيقة من الماء أخذتهم نشوة النصر والظفر ، ووطنوا العزم الأكيد على تدويخه وأن يمثلوا مع الأسبان الدور الذى مثلوه قبلاً مع الفرس والرومان

كانت أسبانيا قبل الفتح العربى فى حالة اضطراب وفوضى ، تتنازعها الثورات والفتن . والعامل الأكبر فى هـــذا التقلقل والاضطراب راجع الى النظام الاجتماعى الفاسد الذى كان سائداً عندئذ فى البلاد . فقد كان سكانها يقسمون الى أربع طبقات هى :

١) الأشراف – ٢) سكان المدن – ٣) الفلاحون – ٤) العبيد

أما الأشراف فـكانوا أصحاب النفوذ والسـيادة ، غير أنهم انصرفوا فى آخر عهدهم عن أمور الدولة إلى اللهو والبذخ والمجون . وكان سكان المدن – ومعظمهم يهود – يتحملون معظم الضرائب التى كانت عبئاً ثقيلاً على عاتقهم جعلتهم تواقين للخلاص من حالتهم الحاضرة . أما الفلاحون فـكانوا وسطاً بين الأحرار والعبيد ، إذ أن التملك كان محرماً عليهم إلا باذن الشريف الذى يقعون فى دائرة نفوذه ، ولذا كان القليل النادر منهم ملاكا . وكان العبيد وهم أكثر السكان عدداً يباعون كالسلع ويسامون من العـذاب أشكالاً وألواناً . فليس غريباً إذاً أن يهربوا فى بعض الأحايين من نير أسيادهم الى الجبال والقفار ، فيعتصموا

بها وينعموا بالحرية المفقودة ، ويعيثوا فى البلاد فساداً انتقاماً لحريتهم المسلوبة . وكانت هذه الحالة السيئة كافيـــة لازاحة الحكم الرومانى عن هـذه البلاد والتمهيد للقبائل البربرية الغازية

كانت القبائل التى اكتسحت أسبانيا عديدة ، منها «الفندال» و « الزواف » و « القوط » . ولم يمض وقت طويل على تدفق البرابرة فى أســـبانيا ، حتى ترك القوط القبائل الأخرى من البلاد ، واستأثروا بالسلطة المطلقة . ثم بدأوا يأخذون بأساليب الحضارة المسيحية ، وتمكنت الكنيسة الكاثوليكية من ضمهم الى حظيرتها سنة ٥٨٧ ، فاكتسب الكهنة مكاناً سامياً فى الدولة لا يقل خطراً عن مكان الأشراف ، غير أنهم استثمروه لمنفعتهم الذاتية ، فاقتنوا الضياع وبنوا القصور العظيمة ولم يلتفتوا الى الطبقات الأخرى التى كانت تعانى أمر العيش وأبشعه مذاقاً فيصلحوا أحوالها ، بل اندفعوا فى سبيل مآربهم الدنيوية ، فأصبحوا عاملاً آخر فى زيادة الفساد والاضطراب

وقد خلق أيضاً وجود اليهود فى البلاد فساداً فى الحكم ، لأنهم كانوا فى أسبانيا كما كانوا فى غيرها طبقة مضطهدة مهيضة الجناح تنوء تحت عبء الذل والاحتقار ، فكانوا صابرين فى مضض على حالتهم السيئة ، منتظرين بذاهب الصبر تغير الحال وزوال حكم القوط من كواهلهم

* * *

حدث الفتح أثناء ولاية موسى بن نصير على أفريقية . وكان العرب يعنون بأفريقية تونس الخضراء والجزائر ومراكش ، وتمكن موسى من فتح طنجة وهى من أعظم فرض المغرب وولى عليها طارق بن زياد ثم قفل راجعاً الى مدينة القيروان — التى بناها الفاتح العربى الكبير عقبة بن نافع فى عهد معاوية بن أبى سفيان الخليفة الأموى الأول — تاركا سبتة وهى المدينة الوحيدة التى لم تخضع لسلطان المسلمين فى أفريقية

وكانت الفوضى — كالعادة — ضاربة أطنابها فى اسبانيا . فان أحد الأشراف ويدعى لذريق اغتصب الملك وطرد أبناء الملك غيطشة المتوفى من البلاد ، فعبر هؤلاء البوغاز الى الشاطىء الأفريقى وحاولوا الاستعانة بالعرب من طريق يوليان حاكم سبتة ، الذى كان على وداد مع العرب . فأجابهم يوليان الى طلبهم وأخذ يحبب الى العرب حرب لذريق . أما السبب الذى حدا بيوليان إلى استنفار العرب على لذريق فشخصى محض ، وذلك أنه أرسل ابنته — وكانت آية فى الجمال — جرياً على عادة أشراف القوط الى القصر الملكى فى اسبانيا لتتأدب ، فرآها لذريق واستهواه جمالها الفتان ، وما زال بها حتى أوقعها فى حبائله وعبث بها . فلما علم والدها بالأمر استشاط غيظاً وغضباً ، وعز عليه أن ينتهك عرضه وشرفه على هذه الصورة القذرة ، فأقسم على الانتقام من هاتك عرضه وملصق العار بجبينه ، وأخذ يشوق العرب إلى فتح الأندلس

ولكن بعض المؤرخين يشكون فى صحة هذه الرواية ويقولون إن السبب فى قيام يوليان على لذريق أن غيطشة ملك القوط المتوفى ساعده مرة على العرب فحفظ له يوليان هذا الجميل ، ورأى من الواجب أن يساعد أبناء ولى نعمته على مغتصب ملك أبيهم ، فطلب مساعدة العرب ظاناً أنهم بعد أن يفتحوا البلاد ويوطدوا ملك أبناء غيطشة فيها يرجعون الى أفريقية

* * *

كانت الغزوة الأولى غزوة استكشافية محضة غرضها درس حالة البلاد عن كثب ، وذلك لأن موسى بن نصير كتب الى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك — الخليفة الأموى السادس — يستشيره فى أمر هذا الفتح ، فأرسل اليه الخليفة العظيم أن يتريث ويستكشف الأحوال قبل الاقدام على أية مغامرة . فأمر موسى طارقاً بارسال قوة صغيرة الى الأندلس لمعرفة أحوالها الحقيقية ، فأنفذ طارق فصيلة مؤلفة من ٤٠٠ مقاتل بقيادة مولاه طريف فنزلت فى جنوبى الأندلس — الجزيرة — فكتب الله لها النجاح فى مسعاها الدنيوى الدينى ، فشجع هذا النجاح موسى ابن نصير وعول على فتح الأندلس وسرعان ما حقق غايته

فأرسل قوة كبيرة بقيادة البطل الفاتح طارق بن زياد مؤلفة من البربر والموالى وقليل من العرب ، فعبروا مضيق جبل طارق وفتحوا الجزيرة ثم زحفوا شمالاً نحو قرطبـة ، وكان لذريق عندئذ فى الشمال يقاوم حملة من الأفرنج غزت حدود بلاده الشمالية

ولكنه أسرع — حالما علم بقدوم المسلمين — وعاد إلى الجنوب على رأس جيش لجب عدده مائة ألف مقاتل لصد تيار الفاتحين

فطلب طارق من موسى إمداده بالنجدات فأمده بخمسة آلاف مقاتل . وهناك فى مكان جنوبى أشبيلية على نهر غواديلاتا التقى الجيشان فكان النصر حليف العرب ، وذلك أن فرقة من الجيش القوطى موالية لأبناء غيطشة انسحبت من ميدان القتال فتضعضعت معنويات جيش القوط وتراخت عزائمهم فظفر بهم العرب وكان نصرهم نصراً مبيناً . وتقول بعض الروايات العربية إن لذريق غرق فى النهر ، غير أن روايات أخرى تقول إنه بقى حياً إلى أن جاء موسى بن نصير الأندلس فهزمه فى معركة فاصلة أودت بحياته

ثم قسم طارق جيشه إلى أربعة أقسام : قسم سار بقيادته إلى طليطلة ، وقسم سار إلى قرطبة ، وآخر سار إلى غرناطة ، ورابع زحف إلى مالقا ؛ وكان النصر حليفهم فاستولى كل قسم منهم على البلد الذى زحف عليه ، وكانت الطبقات المضطهدة تساعد الجيش الزاحف وتمده بمعلومات قيمة عن جيوش العدو وترشده إلى أسهل الطرق وأقربها ، وكان طارق يكافىء أعيان البلاد بتعيينهم حكاماً على المناطق المفتوحة ، ورأى الاسبانيون عندئذ أن غزوة العرب لم تكن مؤقتة يرجع العرب بعدها إلى أفريقية بل كانت دائمة لأنهم ذهبوا إلى اسبانيا ليبقوا فيها

وكان كثير من الأشراف قد فزعوا إلى الجبال بعد الانتصارات التى أحرزها العرب ، فخاف طارق العاقبة وأرسل إلى موسى يستنجده . فعبأ موسى قوة عظيمة وعبر إلى الأندلس سنة ٧١٢ بعد ذهاب طارق إليها بسنة ، واتبع خطة منظمة فى الاستيلاء على البلاد . فكان ينظم كل مدينة يحتلها ويعدها لحكم عربى دائم . فاستولى على قرمونا وأشبيلية وسار تواً إلى طليطلة فالتقى بطارق ـ وكان لقاؤهما جافاً ـ ووحدا جبهتهما وانتصرا على جيش اسبانى لجب ، يقال إن لذريق كان يقوده ، انتصاراً حاسماً ، وافتتحا طليطلة مرة ثانية . وكانت آخرة لذريق فى بطون أسماك نهر التاج

وفى سنة ٧١٣ سك موسى نقوداً عربية فى الأندلس ، وظل يتوغل فى هذه البلاد وينتقل من نصر إلى نصر إلى أن جاءه رسول الوليد يستدعيه إلى دمشق ـ عاصمة الأمبراطورية العربية — فغادر موسى الأندلس أسيفاً لأنه كان قد عزم على التوغل فى بلاد الفرنجة حتى يصل إلى القسطنطينية عاصمة الأمبراطورية البزنطية فيفتتحها ويسير منها إلى دمشق بعد أن يكون قد دوخ أوربا وأخضعها للخلافة الاسلامية وسطر اسمه فى سجل الخالدين

ثم استخلف موسى على الأندلس ابنه عبد العزيز وعلى سبتة ابنه الثانى عبد الملك ، وعلى أفريقية ثالث أبنائه عبد الله ، وسار الى العاصمة الأموية يصحبه طارق مثقلاً بالغنائم ، فوصلها بعد وفاة الوليد بن عبد الملك وقيام سليمان . وبالرغم مما قدمه لسليمان ابن عبد الملك من الغنائم لم يلق فى عينى الخليفة حظوة ، لأن أخبار الأندلس وصلت الى دار الخلافة مغالى فيها . فوجد سليمان أن ما جاء به موسى قليل برغم كثرته فاضطهده وسجنه . ولم يكن حظ طارق بأسعد من حظ زميله فناله بعض سخط أمير المؤمنين

وبقى موسى بن نصير فى محبسه مدة قصيرة . ثم أطلق سراحه بعد أن شفع له القائد الكبير يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ، فسار الى مكة المكرمة يحج البيت ، غير أن المنية عاجلته وهو فى طريقه الى الديار المقدسة

أما ابنه الأكبر عبد العزيز فقد عمل على توطيد الحكم العربى فى الأندلس بتزوجه من أرملة لذريق واستمالة القوط ، ولكن مؤامرة دبرت لاغتياله بعد سنتين من ولايته ؛ ويتهم بعض المؤرخين سليمان بتدبير المؤامرة ، وتحريض أصحابها على الفتك بابن مدوخ الأندلس . وهكذا كانت نهاية فاتحى الأندلس قتلاً وسجناً وتشريداً

فريد مصطفى عز الدين

---

١٢ ـ قصـــــة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى
وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur

صـــلة حديثه

وصل الفائت : أثبت بستور أن الذى يخمر السكر فيحيله إلى كحول إنما هو خمائر كرية صغيرة تتزايد بالانشقاق . وأن الذى يحيله إلى حامض اللبن هو مكروبات كالعصى . واخترع بستور حساء من السكر وملح النشادر تتكاثر فيه هذه الأحياء بدل مرق اللحم ونقيع الحب . وقال للناس إن اللحم يفسد لأن المكروب يناله ، فتخرج منه بالتحلل روائح كريهة تحمل المرض والموت فى طياتها . وأنه سيخوض فى سبيل البحث غمار هذه الأوبئة لخير الانسانية

— ٤ —

وبذلك هيّأ بستور المسرح لاجراء تجاربه الخطيرة . هيّأه قبل إجرائها بزمن طويل . فوضع فيه المناظر ، ووزّع فيه الستائر ، ومازج وآلف بين الألوان ، وأخفتَ الأنوارَ حيث وجب خفوتها ، وأسطَعها حيث يجمل سطوعُها ، فأثار بذلك طبيعة العلماء الباردة ، فاستمعوا له بآذان مرهَفة ، وقلوب واجفة ، انتظاراً لدور البطولة الذى سيقوم به فى القريب على أعينهم ، حتى لكأنى بهؤلاء الأساتذة الموقّرين يسيرون فى شوارع الحىّ اللاتينى العتيق ، بين ربوعه الغبراء ، راجعين فى الامساء الى منازلهم ، وقد ثارت ثائرتهم ، والتهب خيالهم ، فتمثلوا بستور يودعهم فى حرقةٍ وداع الفراق الذى لا أوبة له ، ثم يوليهم ظهره ، ويسير بقدم ثابتة ، وصدر مفتوح ، ورأس مرفوع ، وأنف وسيع ، نحو تلك الروائح الكريهة قد حملت فى طياتها جراثيم الموت وأسباب الهلاك . . .

فى هذا فاق بستور صاحبنا لوفن هوك ، وفى هذا فاق اسپلنزانى كذلك . كان بستور يجيد التجربة ، ولكنه كان كذلك يجيد عرْضها على الناس والدعايةَ لها فيهم . أما العلماء فاضطربوا واشرأبّوا للمزيد من أنبائه ، وأما البسطاء فاغتبطوا بصورة الخمائر التى أحلها واضحةً فى أذهانهم ، تلك الخمائر التى تصنع لهم الخمر الذى هو شرابهم الأول فى فرنسا ، ولكنهم كذلك ارتاعوا لما تصوّروا تلك المكروبات العَفِنة ترفرف بها أجنحة الهواء من فوق رؤوسهم فى سكون الليل ، فتبذر فيهم أسباب الموت ، وتفتح لهم أفواه القبور

وأجرى بستور تجارب غريبة طالت سنوات . تناول قوارير ووضع فى بعضها شيئاً من اللبن ، ووضع فى البعض الآخر شيئاً من البول ، ثم غطّسها مدةً فى الماء الغالى ، ثم ختم رقابها الدقيقة فى النار ، ثم اختزنها عدة سنين . وأخيراً فتحها ليثبت أن اللبن لم يتخثّر ، وأن البول لم يتغير ، وأن الهواء الذى علاهما فى القبابات احتفظ بكل أكسجينه أو كاد ، فلا مكروب ولا فساد . ثم أعاد التجربة على اللبن والبول مرة أخرى ، ولم يغْلِ القبابات ، بل أذِن للمكروبات أن تنمو وتتزايد فيهما . فلما فتح القوارير لم يجد أكسجينها ، فان المكروبات استخدمته فاستنفدته لتحرق به مادة البول واللبن وتحللها لتتغذى بها . وعندئذ بسط بستور جناحين عظيمين وطار فى سماء الخيال ، فتمثّل هذه الأرض العظيمة ليس بها مكروب واحد ، وتمثّل حيوانها يموت ، فى جوّ مليء بالأكسجين ، ولكنه أكسجين عاجز فى غيبة المكروب عن أكسدة هذه الحيوانات والنباتات ، عاجز عن حرقها وتحليلها وتطهير الأرض منها . سمع السامعون من بستور ذلك فراعهم ما سمعوا ، وجاء الليل ، فتمثّلتْ لهم مدينتهم فى الأحلام ، وقد خلت شوارعها من وقعة قدم أو قرعة حافر ، من كل مظهر من مظاهر الحياة ، إلا جثث أموات ، وربما سدّت الطرقات لما أعوزتها المكروبات . قال بستور : إن عجلة الحياة لا تدور بغير مكروب

ولم يلبث بستور أن جاءه السؤال الذى جاء البحاثَ قبله ، جاءه وجهاً لوجه يتطلب الجواب بلا مراوغة أو تسويف . ولم يكن بدّ من مجيئه إمّا اليوم وإمّا غداً . وهو نفس السؤال الذى جاء اسپلنزانى من قبله فأثار من الفكاهة بينه وبين خصمائه ما أثار . هو هذا السؤال البسيط ، المفرطُ فى بساطته ، هذا السؤال المحيّر المفرط فى تحييره : من أين تأتى المكروبات ؟

سأل بستورَ خصومُه : « من أين تأتى هذه الخمائر ؟ إنها تظهر فى عصير العنب فتصيّره خمرا أين كان من الأرض ، وفى أية ساعة كان من الزمان . وتلك الأحياء الصغيرة الأخرى التى تحمّض اللبن ، وتفسد الزبد فى كل قدر أين وجد من مشارق الأرض ومغاربها ، تلك الأحياء كيف مأتاها ؟ »

اعتقد بستور ، كما اعتقد اسبلنزانى ، أن هذه المكروبات لا يمكن أن تأتى من مادة اللبن أو مادة الزبد ، وهى ميتةٌ لا روح فيها . واعتقد أنه لابد لها من آباء . فترى من هذا أنه كان كاثوليكياً صميما . نعم لقد عاش بين الشكاكين ذوى العقول الراجحة على ضفة « السين » اليسرى فى باريس ، حيث لم يكن يُذكر اسمُ الله إلا كما يُذكر اسم « لينين » فى بورصة نيويورك . ولكن هذا الشك لم ينل شيئاً من عقيدة بستور . وكانت نظرية النشوء قد بدأت تشيع بين هؤلاء الشكاكين على أنها طراز للتفكير مستحبٌ جديد . كانت أنشودةَ الكون العظمى تحكى لنا كيف بدأت الحياة مادةً لاشكل لها ولاقوام ، تخرج من حَمَأ وبخار ، ثم تظل تتحول على ملايين السنين ، فتتشكل فى عدد عديد من الصور ، وتمر فى موكب حافل طويل من الأطوار ، حتى تصل الى طور القردة ، وعندئذ تتمطى القردة فتصير رجالاً تمشى على رأس هذه الخلائق . وقال الفلاسفة فى شيء من يقين العلم ووثوق العلماء : إن هذا الاستعراض الهائل ليس بحاجة الى إلّه يبدؤه ، ولا إلّه يديره

وأجابهم بستور يقول : «أما فلسفتى أنا ففلسفة قلبى لا فلسفة عقولكم . فلسفتى تأتى من مثل هذا الشعور الذى يأتى بالسليقة الى قلب المرء وقد جلس الى سرير ولد عزيز عليه أخذ يجود فى عسر بالبقية الباقية من أنفاسه . من مثل هذا الشعور أتعلم فلسفتى عن الوجود . وفى مثل هذه الدقائق الرهيبة أسمع أصداء تأتى من أعماق روحى تقول لى : « من يدريك ، فلعل هذه الدنيا أكثر مما يزعمون ، لعلها أكثر من مجموعة أحداث تأتى من توازن آلىّ يخرج من عَماء العناصر بفعل قوى المادة وحدها» . لقد كان بستور رجلاً تقياً نقياً

ولّى بستور للفلسفة ظهره ، وتوجه للعمل . واعتقد أن الخمائر ، وأن العصىّ الحية ، وتلك الأحياء الصغيرة الأخرى إنما تأتى من الهواء . وتخيل الهواء مليئاً بتلك الخلائق التى لا ترى . بالطبع كان غيره من بحاث المكروب قد أثبتوا أن هذه الأحياء مأتاها من الهواء ، ولكن بستور اصطنع أجهزة مركبة ضخمة لاثبات ما أثبتوه مرة أخرى . حشا أنبوبة من الزجاج بشيء من القطن ، ثم أخرج أحد طرفيها من الشباك ، ووصل الطرف الآخر داخل الغرفة بمضخة تجر الهواء ، وشغلها حتى امتص نصف هواء الجنينة ، ثم انتزع القطن ، وحاول أن يَعُدّ الأحياء التى احتُبست عليه . واصطنع أجهزة أخرى غير أنيقة النظر ليحمل سدادات القطن هذه بما عليها من المكروب الى مثل هذا الحساء الذى كان نمّا فيه الخمائر ليعلم أيتكاثر هذا المكروب فيه ، وأعاد تجربة اسبلنزانى القديمة ، فأتى بقارورة مكوّرة ، ووضع فيها بعض هذا الحساء وختم على رقابها بإساحتها فى اللهب ، ثم أغلاها دقائق ، وامتحن حساءها من بعد ذلك فلم يجد فيه مكروباً أصلاً .

فصاح به من كانوا لا يزالون يعتقدون فى انبعاث الحياة من ذات نفسها ، من غير آباء وأمهات . صاحوا به يقولون : « ولكنك ياهذا أغليت الحساء فأسخنت معه الهواء ، وهذه الأحياء الصغيرة إنما تحيا فى الهواء وهو على طبيعته من غير تسخين . وَشرِكهم فى صياحهم النشوئيّون ، والنباتيّون المرتابون ، والفلاسفة الملحدون ، صاحوا من بين الداد والكِتاب ، لا من بين اللهب والقباب »

فاختلط الأمر على بستور حيناً ، وحاول عدةَ طرائق ليجمع بين حساء مُغْلَى ، وبين هواء لم تنله النار بالتسخين ، ومع هذا يخلو من تلك الأحياء . وجاهد فى أثناء ذلك ما استطاع أن يَلبس وجهاً مُطْمئناً للأمراء والأساتذة وأرباب الصحف الذين أحاطوه عندئذ يترقبون المعجزات التى أوشكت أن تقع على يديه . وكان أولو الأمر قد نقلوه من معمله الضيق ذى الفئران بسطح المكان ، الى بناء صغير يقع على أربع دقائق أو خمس من باب مدرسة النرمال ، بناءٍ يضيق بالخنازير الجينية (١) التى تحتاجها معاهد البحث فى الأيام الحاضرة . وفى هذا البناء الصغير قام بستور بجهاده الشهير ليثبت أنه لابد لكل حىّ مهما قلّ وحقُر من آباء . وكان جهاداً بالتجربة الحاذقة ، ولكنه كاد يتسفّل

(١) حيوانات صغيرة كالفئران قصيرة الأذناب قصيرة الآذان سمينة تستخدم فى التجارب البكترلوجية اليوم بكثرة

أحياناً الى نزاع كالذى ينشأ بين الغوغاء ، فلا ينفض إلا بصــفع الأقفية ولــكم الوجوه . ودار بستور بادئ بدء يحتال للتجارب الجديدة ويَنصب الأجهزة الـكثيرة ، فأبدل من تجاربه البسيطة الأولى تجارب مركبة ، ومن أجهزته اليسيرة الأولى أجهزة صعبة معقّدة ، فـكـثُر حِجاجه وكثر كلِمُه ، وقلت حجته وقل إقناعه . والحق أنه وقع فى مأزق لم يجد منه مخلصاً

وذات يوم دخل عليه الأستاذ « بلارد » Balard وهو فى معمله ، وكان « بلارد » فى مبدإ حياته صيدلانياً ، ثم اكتشف عنصر البُرُوم على ذلك النَّضَد البسيط الذى ركّب عليه عقاقيره فى تلك الحجرة الصغيرة بظاهر صيدليته ، فذاع اسمه وكسب مدح العلماء ، وتمين من أجل ذلك أستاذاً للـكيمياء بباريس . ولم يكن أمّالاً طموحاً ، فلم يطمع فى كشوف الدنيا كلها ، فقنع بهذا الـكشف الواحد ، وهو لعمرى نعم النتاج فى حياة الفرد الواحد . ولـكنه كان يحب أن يتشمم حوله ويتعرّف كل مايجرى بجواره من بحوث

دخل « بلارد » الـكسول على « بستور » وهو فى ربكته فتحدث اليه ، وكأنى بك تسمعه يقول له : « تقول يا عزيزى إنك مرتبك ، وإنك لاتستطيع الجمع بين الحساء الغلى وبين الهواء دون أن تظهر تلك الأحياء فى الحساء . إذن فاستمع لى ياصديقى . نحن سوياً نعتقد أن هذه الأحياء لاتنبعث من ذات نفسها فى الحساء ، بل هى تقع فيه مع ما فى الهواء من هباء ، أليس كذلك ؟ »

فيقول بستور : « هذا حق ، ولـكن . . . . . »

فيقاطعه بلارد : « صبراً ، صبراً ! أرى لو وضعت شيئاً من الحساء فى قارورة ، ثم أغليته ، ثم صيرت فتحة القارورة بحيث تأذن للهواء بالدخول للحساء ، ولا تأذن لما فيه من تراب وهباء بالسقوط فيه . . . »

فيقول بستور : « وكيف ذلك »

فيجيب بلارد : « الأمر هيّن . خذ قارورة من قواريرك المستديرة ، وضع الحساء فيها ، ثم سخّن رقبتها فى اللهب ثم مُطّها حتى تستدق ، ثم لـيّن هذه الأنبوبة الدقيقة واستدر بها متسفلاً ، ثم لـيّن طرفها واستدر به متصاعداً حتى تصبح رقبة القارورة كرقبة الأوزّة المراقية وقد غاصت عنقرها فى الماء لتلتقط منه شيئاً — حتى تصبح هكذا » . ورسم بلارد شكلها . بلارد الذى نُسِيَ اليوم أمره

فيمعن بستور فى الفكر ثم يقول لما يرى حسن الحيلة فى هذه التجربة الصغيرة : « بالطبع . بالطبع . الأمر واضح . فذرات التراب التى تحمل المكروب لا تسقط إلى أعلى . هذا ما تقصد اليه ؟ »

فيبتسم بلارد ويقول له : « بالضبط . جرّبها وأخبرنى بالذى يكون . وإلى اللقاء ! » وتركه وذهب إلى معامله الكيمياوية ليتمم فيها دورةَ يومه

وكان لبستور الآن صبية تغسل له القوارير وكان له أعوان ، فأمرهم أن يسرعوا فى تجهيز القبابات . وبعد زمن قليل كنت تسمع نفّاخات اللهب تُصم الآذان . وأقبل بستور على العمل فى غير رفق ولا هوادة . فتناول القوارير ووضع بها الأحسية ، ثم سحب رقابها ولواها كرقاب الأوز ، ثم أغلاها فطرد بخارُ الماء كلّ هوائها ، فلما بردها رجع هواء الجو فدخل فيها بارداً نقياً

فلما تجهزت القبابات حملها قبابة قبابة إلى محضنه الداف‍ئ وكان تحت حنية السلم الضيقة فلم يصل اليه إلا مكفوءاً على يديه وركبتيه ، على صورة يزيدك ضحكاً منها محاولته أن يحتفظ بوقاره فيها . وفى الصباح بكر إلى معمله . وفى لحظة اختفى تحت السلم إلى محضنه . وبعد نصف ساعة كنت تراه خارجاً من هذا الجحر يدبّ على أربع ، وقد برقت عيناه بالسرور من وراء نظارته الندية . وقد حق له السرور ، فان القبابات ظلت جميعها رائقة ، ولم يكن بها مكروب واحد ، وظلت على روقانها غداً وبعد غد . لقد نفعت حيلة «بلارد» . وقد بطلت نظرية انبعاث الخلائق من ذات نفسها . « تجربتى هذه تجربة فى الحق بديعة . وهى تثبت أنك تستطيع أن تترك فى الهواء ما شئت من مرق

أو حساء ، على شريطة أن تغليه ، وعلى شريطة أن يدخل الهواء اليه بعد الاغلاء من أنبوبة طويلة ضيقة ملتوية هذا الالتواء »

وعاد « بلادر » وابتسم لما أخذ بستور يصب على رأسه خبر التجربة صباً . قال بلارد : « لقد حسبتُ أنها تنجح ، فان القبابة عند ما تأخذ فى البرودة بعد الغلى ، يأخذ الهواء يدخل اليها بترابه وهبائه ومكروبه ، فتتصيّدها جميعاً تلك الأنبوبة الطويلة الرفيعة بما عليها من البلَل »

قال بستور : « ولكن كيف تثبت هذا ؟ »

قال بلادر : « الأمر هين . هات قبابة من هذه القبابات التى بقى حساؤها طاهراً رغم تدفئتها فى المحضن أياماً ، وأملْها حتى يسيل حساؤها الى الرقبة العوجاء ، ثم ردّ الحساء الى بطن القبابة حيث كان ، ثم ارجعها الى المحضن ، فلن تلبث طويلاً حتى تتعكر بالملايين من المكروبات ، هى نسل تلك التى احتُبست فى عنق القبابة البليل »

فأجرى بستور هذه التجربة ، فكانت كما قال صاحبه . وكان بعد هذا اجتماع ، تزاحمت اليه بالمناكب علماء باريس وكتّابها ومُزّاحها وفنّانوها . وفى هذا الجمع شرح بستور تجاربه ، وذكر ما كان لأعناق الأوزّ من الخطر ، وذكر نظرية الانبعاث التلقائى . ثم صاح : « والآن فلن تستطيع هذه النظرية قياماً بعد هذه الضربة القاتلة »

لو أن بلارد كان فى هذا الجمع ، إذن والله لصفّق تصفيقاً شديداً مع المصفّقين . كان بلارد من تلك الأنفس الطيبة السخية النادرة

(يتبع) أحمد زكى

٢١ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون او خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود

ـ ولكن ألست ترى أنك إنما تقرر هذا فعلاً حينما تقول إن الروح كانت موجودة قبل أن تأخذ صورة الانسان وجسده ، وأنها تألفت من عناصر لم يكن لها وجود بعد ؟ فليس الانسجام شيئاً يشبه الروح كما تظن ، وإنما القيثارة والأوتار والأصوات توجد أولاً فى حالة من التنافر ، فيجىء الانسجام بعد هذه جميعاً ، ثم هو يسبقها جميعاً فى الفناء . فكيف يمكن أن نلائم بين هذا الرأى فى الروح وبين الرأى الآخر [1] ؟

أجاب سمياس : لا يمكن قطعاً

قال : ومع ذلك فينبغى بلا ريب أن يكون ثم انسجام ، مادام الانسجام هو موضوع الحديث

أجاب سمياس : ينبغى أن يكون

قال : ولكن ليس ثم انسجام بين هاتين القضيتين . إن المعرفة عبارة عن تذكر ، وان الروح انسجام ، فأيهما إذن تستبقى لنفسك ؟

أجاب : إنى لأحسبنى يا سقراط أشد يقيناً بأولاهما التى أقيم لى عليها الدليل الوافى ، منى بالثانية التى لم ينهض عليها دليل قط ، فليست ترتكز إلا على أسس من الظن والاستحسان ، وأنا عليم علم اليقين أن هذه الأدلة التى تعتمد على الظنون مضللة ، وهى خدّاعة مالم يؤخذ عند استخدامها حذر شديد — هى خداعة فى علم الهندسة وفى سائر الأشياء أيضاً . أما نظرية المعرفة والتذكر فقد أقيم برهانها على أسس من اليقين ، والبرهان هو أن الروح لابد كانت موجودة قبل أن تحل فى الجسد ، لأن الجوهر متعلق

(١) يقول سقراط لسمياس : ان الأشياء التى يكون بينها انسجام توجد أولا فى حالة تنافر ثم يجيئها الانسجام فينسقها ، يعنى أن المادة تأتى أولا والانسجام ثانياً ، فان كانت الروح انسجاماً لا أكثر كما زعم من قبل تحتم أن يكون الجسد قد وجدت أجزاؤه قبل وجود الروح . وهذا القول يتنافى مع ما يسلم به سمياس نفسه الآن من أن الروح كانت موجودة قبل الجسد بدليل تذكر الانسان أشياء لم تصادفه فى تجارب حياته.

بها ، ومجرد اسم الجوهر يقتضى الوجود ، وما دمت قد ارتضيت هذه النتيجة بحق وعلى أسس وافية ، كما أعتقد ، فينبغى ، فيما أظن ، ألا أستطرد فى الجدل ، وألا أسمح لسواى أن يزعم بأن الروح هى عبارة عن انسجام

قال : دعنى يا سمياس أبسط الموضوع من وجهة نظر أخرى : هل يمكن فيما تتصور أن يكون الانسجام أو أى مُركب آخر ، فى حالة تختلف عن حالة العناصر التى تألف منها ؟

ــ لا ولا ريب

ــ أم هل هو يفعل أو يعانى شيئاً غير الذى تفعله هى أو تعانيه ؟

فوافق سمياس

ــ إذن فليس يسوق الانسجامُ الأجزاء أو العناصر التى يتكون منها هو ، ولكنه يتبعها فقط

فوافق سمياس

ــ لأنه يستحيل على الانسجام أن يكون على شيء من الحركة أو الصوت أو أية صفة أخرى تكون مضادة للأجزاء

فأجاب : يستحيل أن يكون ذلك

ــ أوَليس كل انسجام يتوقف على الحالة التى تنسجم فيها العناصر ؟

قال : لست أفهم ما تقول

ــ أريد أن أقول إن الانسجام يقبل التدرج ، فهو أكثر انسجاماً ، وهو أقرب الى الانسجام التام ، حينما تدنو الأجزاء فى تناسقها الى التمام ، إن أمكن لها ذلك . وهو أقل انسجاماً ، وأبعد عن الانسجام التام ، حينما تكون الأجزاء أقل تناسقاً

ــ حقاً

ولكن هل تقبل الروح التدرج ؟ أعنى هل تكون روح ، ولو إلى أقل حد ممكن ، أكثر أو أقل روحانية من غيرها ، أو أبعد عن تمام الروحانية ، أو أدنى إليه من روح أخرى ؟

ــ لا يكون ذلك قطعاً

ــ ومع ذلك فقد يقال بحق إن روحاً تتصف بالذكاء والفضيلة وأنها خيرة ؛ وأن روحا أخرى تتصف بالغباوة والرذيلة ، وأنها شريرة : وحق هذا الذى يقال ؟

ــ نعم هو حق

ــ ولكن ماذا يقول أولئك الذين يصرون على أن الروح انسجام ، فيما رأيتَ من وجود الفضيلة والرذيلة فى الروح ؟ — أيقولون إن ثمَّ انسجاماً آخر وتنافراً آخر ، وإن الروح الفاضلة تكون منسجمةً ، وما دامت هى نفسها انسجاما ، ففى باطنها انسجام آخر ، وإن الروح الرَّذِلة ليست منسجمة ولا يكون فى باطنها انسجام ؟

ــ أجاب سمياس : إنى لا أحير جوابا ، ولكنى أحسب أن سيزعم أولئك الذين يأخذون بهذا الرأى شيئاً كهذا

ونحن قد اتفقنا فيما سبق أن ليست روح أكثر روحانيةً من غيرها ، وهذا الاتفاق يساوى الموافقة على أن الانسجام لا يزيد فى درجة انسجامه ولا ينقص ، أى لا يكون أكمل ولا أنقص انسجاما

ــ جد صحيح

ــ وما لا يزيد فى درجة انسجامه ولا ينقص لا يكون أكثر ولا أقل تناسقاً ؛

ــ صحيح

ــ وما لا يكون أكثر ولا أقل تناسقاً لا يكون فيه من الانسجام أكثر ولا أقل ، ولكنه دائماً مقدار متساوٍ من الانسجام

ــ نعم هو الانسجام متساوٍ

ــ فاذا لم تزد روح ولم تنقص فى روحانيتها المجردة عن غيرها ، فهى ليست أكثر ولا أقل انسجاما منها ؟

ــ تماماً

ــ وعلى ذلك فليس فيها من الانسجام أو التنافر مقدار أكثر أو أقل ؟

ــ ليس فيها ذلك

ــ ولما كان مافيها من الانسجام أوالتنافر ليس أقل ولا أكثر فلا يكون لروح من الرذيلة أو الفضيلة أكثر مما يكون لغيرها ، على فرض أن الرذيلة تنافرٌ ، وأن الفضيلة انسجام ؟

ــ إنها لا تكون أكثر من غيرها أبداً

ــ وإن توخينا يا سمياس فى حديثنا دقة أكثر ، فلن يكون لروح أية رذيلة ، إن كانت الروح انسجاما ، لأنه مادام الانسجام مطلقاً فهو لا يساهم فى غير المنسجم ؟

ــ لا

ــ وعلى ذلك فلا تقع رذيلةٌ من روح هى روح مطلقة ؟

– كيف يمكن ، وفاقاً لما سبق من حديث ، أن تقع منها الرذيلة ؟

– وبناء على هذا إذن تكون أرواح الحيوانات جميعاً سواء في الخير ، ما دامت كلها متساوية ومطلقة في روحانيتها ؟

فقال : إني موافقك يا سقراط

فقال : وهل يمكن في ظنك أن يَصْدُقَ كل هذا ؟ أنسلم بهذه النتائج كلها — وهي مع ذلك ناتجة فيما يظهر من الزعم بأن الروح انسجام ؟

فقال : كلا ولا ريب

قال : وأيضاً ، أي عنصر بين الأشياء البشرية تراه مسيطراً ، سوى الروح ، والروح الحكيمة بنوع خاص ؟ أترى بينها مثل ذلك العنصر ؟

– حقاً إني لا أرى

وهل الروح على اتفاق مع رغبات الجسد ، أم هي وإياها في خلاف ؟ فمثلا عند ما يكون الجسد ظمآن ساخناً ، أفلا تصدف الروح بنا عن الشرب ؟ وعند ما يحس الجسد جوعاً ، أفلا تصدفنا عن الأكل ! وذلك واحد فقط من عشرة آلاف من أمثلة التضاد بين الروح وبين أشياء الجسد

– جد صحيح

ولكن سبق منا اعتراف بأن الروح ما دامت انسجاماً ، فلا يمكنها أن تنطق بإشارة لا تتفق مع الأوتار التي تألفت هي منها ، من حيث حالات التوتر والاسترخاء والتموج وسائر المؤثرات ، انها تتبعها فقط ، ولا تستطيع أن تقودها ؟

فقال : نعم ؛ إنا اعترفنا بذلك يقيناً

– ومع ذلك فلسنا نرى الآن أن الروح تفعل الضد تماماً – فهي تقود العناصر التي يُظَنّ أنها تتألف منها ، وهي في معظم الأحوال تعارضها وتقهرها طيلة الحياة بكل ما أمكنها من سبيل ، وقد تكون معها أحياناً أشد عنفاً بأن ترغمها على آلام الأدوية والألعاب ، ثم قد تعود فتكون وإياها أرق وداعة ، وهي في ذلك تهدد بل وتزجر الشهوات والعواطف والمخاوف ، كأنما هي بذلك تتحدث الى شيء غير نفسها ، كما يصور لنا هوميروس أوذيسيوس في الأوذيسة بهذه الكلمات :

لقد ضرب على صدره لكي يؤنب قلبه :

يا قلبُ صبراً ، فيا طالما احتملت أسوأ من ذلك شراً »

أفتظن هوميروس قد تأثر حين سطر هذا بالفكرة القائلة إن الروح انسجام ، وإن رغبات الجسد قمينة أن تسوقها ، وإنه لم يكن يرى أنها هي التي بطبيعتها تسيطر على تلك الرغبات وتقودها ، وإنها أمعن في الألوهية من أي انسجام ؟

نعم يا سقراط ، إني موافق جداً على ذلك

إذن فلن نصيب يا صاح في قولنا إن الروح انسجام ، لأن في ذلك تناقضاً ظاهراً مع هوميروس الالـهيّ ، كما أنه متناقض وإيانا

– فقال : حقاً

(يتبع) زكي نجيب محمود

٢ – شاعرنا العالمى

أبو العتاهية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

أبو العتاهية وبشار وأبو نواس : هؤلاء هم الشعراء الثلاثة الذين كانوا أعلام هذه الثورة فى الشعر ، قضوا فيها على طريقته القديمة التى مضت فى عصر بنى مروان جامدة على جاهليتها العربية ، لا تفكر فى تجديد ، ولا تنظر الى ما حدث فى العرب من أحداث دينية وسياسية واجتماعية ، خلقت منهم أمة جديدة ، وشعباً يتألف من أجناس مختلفة ، وله نظر جديد فى الأدب يخالف نظر أولئك العرب الخلص ، وذوق أرق من ذوقهم فى الشعر والنثر . وقد بدأت هذه الثورة لينة هادئة فى بشار بن برد ، شديدة لا تبلغ درجة العنف فى الحسن بن هانئ (أبى نواس) ، شديدة عنيفة فى إسماعيل بن القاسم (أبى العتاهية)

وكان مظهر هذه الثورة فى أربع نواح من الشعر :

(١) ألفاظ الشعر التى انتهت ثورتهم فيها الى نقل الشعر الى ألفاظ العربية الحضرية ، وهجر ألفاظها البدوية الخشنة ؛ وإذا قلنا ألفاظ الشعر فانا نعنى بذلك ما يشمل معانيه ، لأن التجديد فى الألفاظ يستدعى التجديد فى المعانى حتما حتى يتلاءم أمرها ، وتتناسب رقة المعانى وجمالها مع رقة الألفاظ وصقلها

(٢) طريقة الشعر ومذهبهم فى ترتيب القصائد من مطالعها الى مقاطعها

(٣) أغراض الشعر ومقاصده

(٤) أوزانه وقوافيه

فأما ألفاظ الشعر فقد اشترك الشعراء الثلاثة فى تلك الحركة التى انتهت بنقلها من البداوة الى الحضارة ، وكان بشار أول من بدأ بذلك وفعله عن قصد اليه يحقق فيه معنى تلك الثورة ، فانها لا تكون إلا عن قصد ، ولا تثبت بالاعتباط والمصادفة ، ولكنه لم يصل فى ذلك إلى غاية هذه الحركة ، لأنه نشأ متقدماً على أبى العتاهية وأبى نواس ، وقضى شطراً كبيراً من عمره يأخذه بطريقته الجديدة وحده ، وشعراء العصر المروانى يحيطون به من هنا وهناك ، ويعيبون عليه تلك الطريقة التى يأخذ بها ، ويرمونه بالقصور والعجز عن اللحاق بالفحول ، فيؤثر هذا فيه بعض التأثير ويمسكه عن الغلو فى طريقته والاندفاع فيها ، ويجعله يأخذ أحياناً فى تقليد أولئك الفحول ، والأخذ بطريقتهم فى الغريب ، والتشادق بالألفاظ

وقد مدح رُؤْبَةُ بن العَجّاج عُقْبَةَ بن مسلم بأرجوزة من أراجيزه وبشار حاضر ، فاستحسن ذلك من رؤبة . فقال له رؤبة : هذا طراز لا تحسنه أنت يا أبا معاذ . وكان رجزهم فى ذلك الوقت غاية ما وصلت اليه طريقتهم البدوية فى إيثار الغريب والتشدد فى اللفظ ، فكان هذا سبباً فى إنشاء بشار أرجوزته فى مدح عقبة بن مسلم :

يا طَلَلَ الحى بذات الصَّمْد
بالله خبِّرْ كيف كنت بعدى
أحسنت من رعد وتِرْبِ رعد
سقيا لأسماء ابنة الأشد
قامت تُرَائى إذ رأتنى وحدى
كالشمس تحت الزِّبْرِجِ المنقد

إلى أن قال فى مدح عقبة :

أسلم وحييت أبا المِلَدِّ ... مفتاح باب الحدث المنسد
مشترك النَّيْل ورِىّ الزند ... أغر لبّاس ثياب الحمد
لله أيامك فى مَعَدّ ... وفى بنى قحطان غير عد
كل امرىء رهن بما يُؤَدِّى ... ورب ذى تاج كريم الجد
كآل كِسرى وكآل بُرد ... أنكبُ جاف عن سبيل القصد
فصلته عن ماله والولد

وروى الأصمعى أنه قال : كان أبو عمرو بن العلاء وخَلَفٌ الأحمر يأتيان بشاراً فيسلمان عليه بغاية الاعظام ، ثم يقولان : يا أبا معاذ ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتى وقت الزوال ثم ينصرفان ، فأتياه يوماً فقالا : ما هذه القصيدة التى أحدثتها فى ابن قُتَيْبة ؟ قال : هى التى بلغتكما ، قالا : بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب ، قال : نعم ، إن ابن قتيبة يتباصر بالغريب فأحببت أن أورد عليه مالا يعرف ، قالا : فأنشدناها يا أبا معاذ ، فأنشدها :

بَكِّرا صاحبى قبل الهجير ... إن ذاك النجاح فى التبكير

حتى فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان « إن ذاك النجاح » « بَكِّرا فالنجاح » كان أحسن ، فقال بشار : إنما

بنيتها أعرابية وحشية ، فقلت : « إن ذاك النجاح » كما يقول الأعراب البدويون ، ولو قلت : « بكِّرا فالنجاح » كان هذا من كلام المُولَّدين ولا يشبه ذلك الكلام ، ولا يدخل في معنى القصيدة ، قال : فقام خلف فقبَّل بين عينيه . وهذه القصة تعطينا أن طريقة بشار الجديدة « طريقة المولدين » كانت قد تقررت في ذلك الوقت ، وصارت واضحة النهج ، معروفة الأسلوب واللفظ ، وتعطينا أن بشاراً كان لا يعدل عنها إلا لدواع نادرة تحمله بتكلف طريقة الأقدمين ، ليثبت لهم قدرته عليها ، وأنه يهجرها عن عمد ، ويتركها عن اعتقاد بعدم صلاحيتها ، بعد انتقال الأمة من البداوة الى الحضارة ، ومن خشونة العيش الى لينه ، ومن ظلمة الأمية الى نور العلم ، ولكنه كما قلنا لم يصل في تلك الطريقة الى غايتها ، ولم يبلغ بها الى الدرجة التي وصلت اليها في شعر أبي نواس وأبي العتاهية ، من تلك السهولة الممتنعة التي تقرب الشعر الى الناس وتبعده عنهم ، وتعتمد في ذلك على القدرة الشعرية الحق ، لا على التشدق الذي يخفي وراءه من الضعف الشعري ما يخفي ، ويوهم الناس أنهم لا يقدرون عليه ، وهم لا يعجزهم منه إلا هذا التشدق وحده

وأما طريقة الشعر فلم يحدث فيها بشار حدثاً ، بل مضى على ابتداء القصيد بالنسيب كما مضى عليه من قبله ؛ وقد ثار أبو نواس على هذه الطريقة ، وأخذ على الشعراء ابتداءهم القصيد بذكر الأطلال في عصر الحضارة والعيش المستقر ، وبذكر هندا ودعدا بعد أن امتلأت القصور في عصرهم عن لا يصح أن يجرى معه ذكر لهند ودعد ؛ وقد ذكروا لأبي نواس في تنديده بذلك قوله :

صفةُ الطلول بلاغة القِدْمِ ... فاجعل صفاتك لابنة الكَرْمِ

وقوله :

لا تَبكِ ليلى ولا تَطرَبْ الى هِندِ
واشرب على الوردْ من حمراء كالوَرْدِ

وقوله :

سقياً لغير العلياء فالسَّنَدِ ... وغير أطلال مَيّ بالجَرَدِ

وقوله :

يا رَبْعُ شُغْلُكَ إنى عنك في شُغُلِ
لا ناقتى فيك لو تدرى ولا جملى

وقوله :

تبكي على طلل الماضين من أسد ... لا درَّ درُّكَ قل لي من بنو أسد
لا جفَّ دمع الذى يبكي على حجر
ولا صفا قلب من يصبو الى وتد

وهذه ثورة على القديم حقاً ، ثورة تفتن بعض دعاة التجديد في عصرنا ، ولكنها عندي ليست هي الثورة الصحيحة التي يجدر بها اسم الثورة ، وتستحق أن تدعى تجديداً في الأدب ، وإنما هي ثورة شُعوبيةٌ عابثة ، ولا فرق بين ابتداء القصيد بالنسيب وابتدائها بوصف ابنة العنب ، بل ربما يكون ابتداؤها بالنسيب أروح عند النفس ، وأخف في السمع ؛ وإنما التجديد في ذلك ما سبق به شاعر عصر بني مروان العظيم : الكُمَيْتُ ابن زيد الأسدي ، وهذا في هاشمياته التي أنشأها في مدح بني هاشم والدعاية لهم في ذلك العصر ، وكانت أول شعر قاله فسترها ثم جاء الفرزدق فقال له : يا أبا فِراس إنك شيخ مُضَرَ وشاعرها ، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي ، فقال له : صدقت أنت ابن أخي فما حاجتك ؟ قال له : نُفِثَ على لساني فقلت شعراً أحببت أن أعرضه عليك ، فان كان حسنا أمرتني بإذاعته ، وإن كان قبيحاً أمرتني بستره ، وكنت أولى من ستره عليّ ، فقال له الفرزدق : أما عقلك فحسن ، وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك فأنشد ما قلت ، فأنشده :

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ

قال : فيم تطرب يا ابن أخي ؟ قال :

ولا لعباً مني وذو الشوق يلعب

قال : بلى يا ابن أخي ـ قال :

ولم يُلهني دار ولا رسم منزل ... ولم يتطربني بَنانٌ مُخضَّبُ

قال : وما يطربك يا ابن أخي ؟ قال :

ولكن إلى أهل الفضائل والتقى ... وخير بني حوّاءَ والخير يطلب

قال : ويحك من هؤلاء ؟ قال :

إلى النفر البيض الذين بحبهم ... إلى الله فيما نابني أتقرب

قال : أرحني ويحك من هؤلاء ؟ قال :

بني هاشم رهط النبي فإنني ... بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خفضت لهم مني جناحي مودةً ... إلى كنف عِطفاه أهلٌ ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا ... مِجَنًّا على أني أُذمُّ وأُقصب
وأُرمى وأرمي بالعداوة أهلها ... وإني لأوذى فيهم وأؤنب

فقال له الفرزدق : يا ابن أخي أذع ثم أذع ، فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي ؛ وفي رواية أخرى أنه قال له : قد

طربت إلى شيء ما طرب إليه أحد قبلك ، فأما نحن فما نطرب ولا طرب من كان قبلنا إلا الى ما تركت أنت الطرب إليه

فهذا هو التجديد الصحيح في مطلع القصيد ، لا ابتداؤه بوصف الخمر بدل النسيب كما أراد ذلك أبو نواس ، فكل منهما غرض مستقل من أغراض الشعر ، والتمهيد به لغيره من الأغراض الشعرية تصنع قبيح ، وتكلف مسترذل

وقد سلم أبو العتاهية من هذا العبث في مطلع قصيده بعد أن أقلع فيما يأتي عن سنة شعراء عصره ، وأخذ نفسه بالجد في الشعر وترك العبث واللهو فيه

وأما أغراض الشعر فان أبا العتاهية هو حامل راية التجديد فيها ، وصاحب القِدْح المُعلّى في تذليل ذلك الشعر العربي الجامع للآداب الاسلامية العالية ، والأخلاق الكريمة السامية ، والمواعظ الحسنة النافعة ، وما إلى ذلك مما يدخل في نشر الثقافة الاسلامية ، واستخدام الشعر في الدعاية اليها ، وأخذ الناس جميعاً بها ، حتى تعلو كلمة الشعر عليهم أجمعين ، ويكون الشعراء الحكام على الملوك والعظماء ، ولا يكون الملوك والعظماء الحكام على الشعراء ، ولقد نجح أبو العتاهية في ذلك أيما نجاح ، وذاع شعره في الشرق والغرب ، وطار به صيته عند الأدباء والعلماء والعظماء في سائر الأمم واللغات ، وأدى بهذا كله رسالة الشعر في عصره أحسن تأدية . ولم يكن لبشار ولا لأبي نواس في ذلك أثر يصح أن نذكره ، اللهم إلا بعض أبيات نادرة تأتي في أثناء القصيد على عادة غيرهما من الشعراء ، وإلا قصيدة بشار في الدعاية لابراهيم بن عبد الله بن حسن حينما خرج على المنصور ، وكان بشار من أشياعه ، وهي قصيدة جليلة نعى فيه على المنصور قيام حكمه على الاستبداد بالرعية ، ونصح ابراهيم أن يقيم حكمه على الشورى بأبياته المشهورة فيها :

أبا جعفر ما طولُ عيش بدائم
ولا سالم عما قليل بسالم
على الملك الجبار يقتحم الردى
ويصرعه في المأزِقِ المتلاحم
كأنك لم تسمع بقتل مُتوَّج
عظيم ولم تسمع بفتك الأعاجم
تقسّم كسرى رَهطُه بسيوفهم
وأمسى أبو العباس أحلام نائم
ومروان قد دارت على رأسه الرَّحى
وكان لما أجبرْتَ نَزّر الجرائم
فأصبحت تجري سادراً في طريقهم
ولا تتقي أشباه تلك النقائم
تجردت للاسلام تعفو سبيله وتُعرى مَطاه لليوث الضراغم
فما زلت حتى استنصر الدين أهله
فعاذوا عليك بالسيوف الصوارم

أقول لبسّام عليه جَلالةُ غدا أريحيا عاشقاً للمكارم
اذا بلغ الرأيُ المشورة فاستعن برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فانّ الخوافي قوةٌ للقوادم
وما خير كف أمسك الغلُّ أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخلّ الهوينا للضعيف ولا تكن نؤوماً فان الحر ليس بنائم

وقد صرف بشار وأبو نواس شعرهما في العبث والمجون ، وهتك الأعراض ، والخروج على الدين والآداب ، حتى ضج منهما الناس في عصرهما ، وساءت في الناس سيرتهما . وأما أوزان الشعر وقوافيه فلم يكن لبشار ولا لأبي نواس أثر يذكر فيها ، وأبو العتاهية هو الذي جدد في تلك الناحية أوزاناً طريفة ، واخترع فيها قوافي جديدة ، ومضى فيها على نحو لم يسبقه إليه أحد من الأوائل ، ولم يكن يدخل في العروض الذي عرف لعهده ؛ وقد سئل من بعضهم هل تعرف العروض ؟ فقال : أنا أكبر من العروض . وهذا جواب له قيمته في بيان اعتداد هذا الشاعر بنفسه ، وفي الدلالة على أنه كان يذهب في الثورة على القديم مذهباً لم يصل اليه بشار ولا أبو نواس ولا غيرهما من شعراء عصره

وإنا نسوق له قولاً آخر له دلالته في ذلك أيضاً : روى أنه اجتمع مع سلم الخاسر فأنشده بعض أشعاره ثم قال له : كيف رأيتها ؟ قال سلم : لقد جودتها لو لم تكن ألفاظها سوقية ، فقال له أبو العتاهية : والله ما يرغبني فيها إلا الذي زهدك فيها

فاذا قسنا أبا العتاهية الى بشار وأبي نواس فيما أحدثوه من التجديد في هذه النواحي التي هي أهم نواحي الشعر ، وجدناه يربى فيها عليهما ، ووجدنا أنه كان موفقاً فيما أحدثه من التجديد فيها كلها ، ووجدنا أن بشاراً وأبا نواس لم يكن لهما تجديد يذكر إلا في الناحية الأولى وحدها ، وخرجنا من ذلك كله بأن أبا العتاهية أولى منهما باسم الشاعر المجدد في هذا العصر

عبد المتعال الصعيدي

الرّبيعُ *

لشاعر الشباب السورى أنور العطار

كل شىء هنا يغنى ويحيا
نغماً ممتعاً وشدواً عجيباً

يا حبيبى أفِقْ فقد ضحك الرَّوْ ... ضُ وأبدى جمالَهُ المحجوبَا
واستعادَ الوادِى الأنيسُ سَنَاهُ ... وبَنى الطيرُ عُشَّهُ المخروبَا
طرِبَ القلبُ فانتشى وَتغنّى ... وَمن الحبِّ أن أعيش طروبَا
وأنا الشاعرُ الذى يَغمُرُ الأرْ ... واحَ ضحكا وما يريم كئيبا
فى فُؤادى اللهيف داءٌ قد استَعْ ... صَى وَجرْحٌ يُمِضُّنى تعذيبا

يا حبيبى دُنياكَ تَطفَحُ بالحسْ ... نِ فَخُذْ للفُؤادِ منها نصيبا
هاتِ نايَ الهوى وَقُمْ نَملأِ الأكْ ... وانَ من سَكْرَةِ الغِنَاءِ ضُروبا
لا تُرَعْ فالحياةُ يومٌ وَيمضى ... لَيْسَ يُرْجى لِطَيْفِهِ أن يَؤُوبَا

نَحن شَدْوُ الطُّيورِ يُصْغِى لنا الدَّهْ
رُ فَيُغرَى باللحنِ حَتى يطيبا
يَذَرُ الهائمينَ فى فرحةِ الحبِّ (م) وَيُصْفِيهم الوِدَادَ الخصيبا
يحتَسون الحياةَ خمرةَ وَجْدٍ ... وَيَرَوْنَ الدُّنا من السُّكْرِ كوبَا
لهمُ الليلُ فى حواشيهِ يحيَوْ ... نَ وَيَطوُونَ جنحَهُ تشبيبا
نَهَبوا العُمْرَ واستباحوهُ لَهْواً ... واستطابوا الأسى وَلَذوا اللُّغوبَا
ضحِكُوا والحياةُ بِنْتُ التَّلَهّى ... مَنَعَتْ مُحْجِماً وأعطَتْ طَلُوبا
يَسأَمُ العَيشَ مَنْ يَبيت خَلِيًّا ... والشَّجِىُّ العميد ينسى الكُرُوبا
رُبَّ صحْرَاء طَوَّفَ الحبُّ فيها ... أزهَرَتْ رَبْوَةً وَرَوْضاً عشيبا

نَضِرَ الغابُ ساحةً وتَجَلّى ... رائعاً فِتنــةَ العُيُونِ قَشيبا
هُوَذَا موكبٌ لآذارَ حُلوٌ ... يَتمشّى على السُّهولِ لَعوبا
ملأَ الأرضَ والسمٰواتِ عِطراً ... وَنَفى الهمَّ والضَّنى والشُّحُوبا
وعلى معطَفِ المُروجِ تراءتْ ... قُبَلٌ للرَّبيعِ تَنفَحُ طِيبا

تَجِدُ النفسُ فى شذاها الأمانى ... صُوَراً تُترِعُ الجَنانَ لَهيبا
تَغْمُرُ الرُّوحَ بالهَناءةِ والصَّفْ ... وِ كما يَغمُرُ الحبيبُ الحبيبا

اليَواقيتُ فى النَّواظرِ ذابت ... وَجرَى السِّحرُ بالضِّياءِ مَشوبا
جدولٌ يُلهِب القلوبَ غِناه ... ظلَّ من موجِهِ السنىُّ سكوبا
أَلْمسُ النُّورَ فى تلاميعِ الزَّهْ ... رِ وأشْتَفُّ روحَه المحبوبا
وأرى العِطرَ وهو هَيْمانُ فى الدَّوْ ... حِ يُناجى فى غصنِهِ العندليبا
وأحسُّ الحياةَ تَرْكُضُ فى العُشْ ... بِ وتسرِى بينَ الحقولِ دبيبا
نَفَسٌ هامِسٌ وآخرُ شادٍ ... وَرُؤًى هَمَّ سحرُها أن يُجيبا
كلُّ شىءٍ هُنَا يُغَنّى وَيحيا ... نَغماً ممتعاً وشدْواً عجيبا
هَا هُنا تَسمَعُ الأناشيد أذْنى ... وترى العينُ فى كَرَاها الغُيُوبا
ها هنا يَرْكَنُ المحِبُّ إلى الأُنْ ... سِ وَيُغفى الفُؤادُ إلا وجيبا

يا حبيبى أفِقْ فهَاذَاكَ طَيْرُ الْ ... حُبِّ قد أسكَرَ الرُّبا تَطرِيبَا
تَترَاءى له السمٰواتُ ألحا ... ظاً وتبدُو الأرضُ الفضاء قلوبا
يا حبيبى طابَ الهوى فاغْتَنِمْهُ ... لستَ عن جُرْحِهِ النَّدِىِّ غريبَا
لكَ من هـذه الدَّغالِ أليفٌ ... يَتَصَبَّاكَ مُؤْنِساً وَرَقيبَا

غَنِّ فى مِسْمَعِى نشيداً رقيقاً ... وَأَشِرْ فى مُهجتى شُعاعاً رَطيبَا
وَدَعِ الحبَّ يَأتَلِقْ فى خيالى ... أفُقاً ساحراً وَكَوْناً رَحيبَا
اطْعَنِ القلبَ يَنْفَجِرْ بالأغارِ ... يدِ ويملأْ هٰذا الفضاء طُيُوبَا
لا تُضَمِّدْهُ يَذْكُ شوقاً وشَجواً ... وَاتْرُكْ نارَه تَشبُّ شُبُوبَا
أَوْقِدِ الحبَّ بالمدامعِ تَنهَلُّ (م) وبالوجدِ صارِخًا وَمُهيبا
لا تَخَفْ أنْ يَضِجَّ بالحبِّ مأْوَى
وَاخْشَ إمّا أحْسَسْتَ منه نُضُوبا
صاغَهُ اللهُ للعَذابِ وللحبِّ (م) وأحياهُ بالدِّماء خَضِيبا

وَرياضٍ فيها العِشَاقُ تَغنَّى ... فيذُوبُ الغِنَاءُ خمراً صَبيباً
إن هذا الجمالَ يا قَلبُ نَهبٌ ... فابْتَدِرْ نخطفِ السَّنا المنهوبا
إخْىَ لِلنورِ، لِلمسَرّةِ، لِلشَّدْ ... وِ، وَخَلِّ الأسى وَخَلِّ النَّحيبا

أنور العطار

* نشرنا من قبل جزءاً من هذه القصيدة ، ونعيد نشرها اليوم تامة

وحى عصفورة

أسطورة الخلود

بقلم أمجد الطرابلسى

مِلتُ إلى روضتى صَباحا ... مُضطَرمَ الفِكرِ والشجُونِ
ألتمِسُ البِشْرَ والمِراحا ... فى مَعرِضِ الحُسنِ والفُتون

جلَستُ فى ظِلّها ونفسى ... يَلهو بها جامِحُ الخَيالِ
أسطّرُ الحزْنَ فوْقَ طِرْسى ... مُستوْحِياً رَوْعَةَ الجمالِ

سمِعتُ إذ ذاك صَوْتَ هَمْس ... أترَعَ نَفسى أسًى وَشَكّا
عُصفُورةٌ تلكَ فوْقَ رَأسى ... تَعِنُ بينَ الغصونِ ضِحكا

تقولُ : هيّا اغنَمِ الزّمانا ... فما مَضى منه لا يَعودُ
قُلتُ : أرَى عَيشَنا هَوانا ... وإنما هَمِّىَ الخلودُ

قالت: بلِ امْرَحِ وَعِشْ طَروبا ... ترجو خلوداً ؟ وَما الخلودُ ؟
قَصِيدةٌ تَسحَرُ القلُوبا ... أبدَعها شاعِرٌ مَرِيد

كفاكَ يا شاعِرى بُكاء ... لا النَّوْحُ يُغنى ولا الغِناء
كيْفَ تُرَى تَنْهَمُ البَقاء ... فى عَالَمٍ رَمزُه الفَناء ؟

واعجباً ! كلهمْ سكارَى ... سَعَوا إلى الخُلدِ فى الفَيافى
وَطَوَّفوا فَوْقَها حيارَى ... وقبرُهُم غايَةُ المطافِ

رأوْا ظلاماً أزَالَ صبْحاً ... والدَّهرِ عفَّى على الجديدِ
والموْت من خلفهمْ مُلِحّا ... فأبدعوا فِتْنَةَ الخُلودِ

أبعدَ أن تألفَ الرُّغاما ... وَتَبْتَلى وَحشَةَ اللحُودِ
وتَغتَدى فى الثّرَى رِمَامَا ... تَنعمُ يا صاحِ بالخُلودِ ؟

تَهْزَأُ بالموْتِ والفَناء ؟ ... وهكذا الجدوَلُ الصغيرُ
يَحلُمُ بالخُلدِ وَالبَقاء ... وإنما طَبعُه المسِيرُ

يُرَتّل اللّحْنَ والنَّشيدا ... فى مَوْلدِ اللّيْلِ أوْ رَداهُ
يَرْجو لألحَانِهِ خُلودا ... لا اللّحْنُ يَبقَى وَلاَ صَداه

أمعَنَ فى سجْنِهِ أنِينا ... وَوَدَّ لوْ يَغمرُ الهِضابا
وَضَجَّ فى قَيْدِهِ جنُونا ... يرِيدُ أنْ يُغرِقَ السَّحابا !

سلْ زَهْرَةَ الأمسِ يا صَديقُ ... كيفَ خباعِطرُها الذّكىُّ ؟
وأيْنَ من خدِّها بَرِيقُ ... مثل بَرِيقِ المُنَى ، بَهِىُّ ؟

أيْنَ أغانىَّ فى الغُصونِ ... أرْسلُها فى الفَضاء وَهْنا ؟
هَل حفِظَ الرَّوْضُ منْ لُحونى ... يا شاعرى مذ هَتَفْتَ لَحْنا ؟

أىُّ بقاء وَأىُّ خُلدِ ... فى عالَمٍ كنْهُهُ الزّوالُ ؟
سيَمَّحِى الكَوْن بعدَ عَهدِ ... كما امَّحَى واختفَى خيالُ . . .

وَانطَلَقتْ فى الفَضَا المديدِ ... مُمْعِنةً بالخُلودِ سُخْرا
تُنْشِدُ أُسطورَةَ الخلودِ ... تُسمِعها العالَمِينَ طُرّا

. . . .

رَجعتُ من رَوْضتِى مهَاناً ... مضطَرِمَ الفِكْرِ وَالشُّجُونِ
عُصفُورَةٌ تَفْهمُ الزّمانا ... وَنحْنُ فى غَمْرَةِ الظنُونِ

أمجد الطرابلسى

من أدب السودان

فجرٌ فى صحراء

بقلم التيجانى يوسف بشير

إمْلأِ الرُّوح من سناً قُدُسىٍّ ... مبهَمٍ كالرُّؤى وَديعٍ رَضِىٍّ
قمرىٍّ كأنما سَكَبَ البَدْ ... رُ عليه من فيضهِ القَمرىِّ
وَاغمرِ القَلْبَ فى مُفاضٍ من الفجـ ... ـرِ وضِيءٍ جَمِّ النَّدَى عبقرىٍّ
يَنبُ الحُلْمُ حَوْلَ مَشْرَعِهِ السا ... جى وَيجرى مع الضُّحى فى أتِىِّ
كم تَظَلُّ الرؤى به شارِعاتٍ ... فى يَنابيعَ من جلالٍ ندِىِّ
يتلفّفْنَ فى جوانحَ بَيضا ... ءَ وَيَسحبْنَ من رِداهُ وَفِىِّ
ويُحوّمْنَ سُوَّماً باسِماتٍ ... يتخففْنَ من هموم العَشِىِّ

في الأدب الفرنسي المعاصر

رومان رولان

Romain Rolland

بقلم علي كامل

يطلع علينا رومان رولان بين وقت وآخر من أعماق عزلته في سويسرا بعيداً عن وطنه فرنسا بكتاب أو مقال جديد فيشعر من قرأ هذا الأديب العظيم بحنين زائد إلى قراءة هذا الكتاب أو هذا المقال . ذلك أن رومان رولان كاتب عالميّ الفكر والعاطفة لا يكتب لأمة معينة ولا لشعب خاص ، بل يكتب للعالم أجمع ناظراً إليه كأسرة انسانية واحدة لا تمزقها حدود ، ولا تفرقها لهجات ، ولا تبذر بذور الحقــد والضغينة في قلوب أعضائها فكرة الأجناس . لذا كان رومان رولان من أحب الكتاب المعاصرين إلى كل قلب رحيم ونفس واسعة الآفاق . وكتابه عن (مهاتما غاندي) يقربه إلى قلوبنا نحن الشرقيين لأنه وقف فيه موقف المدافع القوي عن الحركة الهندية وشعبها المجيد المهضوم ، كاشفاً القناع عن فضائح الغرب وآثامه في قتل أمة عظيمة بلغت مئات الملايين والوقوف في وجهها بالالتجاء إلى البطش الخسيس حين تنهض مطالبة بحقها في الحياة

ولا عجب أن يبدو ذلك من رجل مثـل رومان رولان لم تكد تعلن الحرب الكبرى — وكان وقتذاك في جنيف بسويسرا — حتى أخذ يكتب سلسلة مقالات ملتهبة بالعاطفة الانسانية ، مطالباً فيها بالمبادرة بحقن الدماء وعودة السلام وإنقاذ أرواح الشباب البريء الذي يلعب بعقله خطباء الشوارع مستغلين حرارة قلبه وسمو نفسه في سبيل جشع أصحاب مصانع السلاح ودجل رجال الحكومات . ولقد آثر رومان رولان عداء الرجعيين من أبناء وطنه والصحافة المادية المغرضة التي أثارت عليه الرأي العام الساذج في كل أمة مهما بلغ رقيها ، آثر ذلك على أن يتنازل عن حريته في الفكر والقول ، عن إنسانيته التي هي ثروته الكبرى

* * *

ولد رومان رولان في بلدة كلاميسي Clamecy في اليوم التاسع والعشرين من شهر يناير عام ١٨٦٦ من أسرة ريفية برجوازية عريقة القدم . وتعلم أولاً في البلدة التي ولد بها . ثم انتقل إلى باريس عام ١٨٨٦ حيث التحق بمدرسة النرمال العليا Ecole Normale Supérieure ؛ وفي عام ١٨٨٩ نجح في امتحان (الأجريجاسيون) في التاريخ والفلسفة ، وفي عام ١٨٩٥ حصل على شهادة الدكتوراه في الآداب برسالة قدمها عن (أصول المسرح الغنائي الحديث) Les Origines du Théâtre Lyrique Moderne وعين بعد ذلك أستاذاً لتاريخ الفن في مدرسة النرمال العليا ، ثم عين أستاذاً في السوربون حيث أدخل مادة (تاريخ الموسيقى) وبقي فيها حتى عام ١٩١١

ابتدأ رومان رولان حياته الأدبية بكتابة عدد كبير من القصص المسرحية ، ولم يكن ذلك منه عفواً بل كان تنفيذاً لفكرة مختمرة في نفسه عن وجوب تجديد الفن المسرحي بالطريقة التي شرحها في سلسلة مقالاته التي كتبها بعنوان (مسرح الشعب) Théâtre du Peuple (١٩٠٠)

كتب رومان رولان من هذه القصص المسرحية Saint Louis (١٨٩٧) — Aërt (١٨٩٨) — Les Loups (١٨٩٨) — Le Triomphe de la Raison. (١٨٩٩) — Danton (١٩٠٠) Le 14 Juillet (١٩٠٢)(١) — Le Temps Viendra (١٩٠٢)

(١) القصة الأولى والثانية والرابعة تدخل تحت عنوان رئيسي واحد هو (مآسي الايمان) Tragédies de la Foi . والقصة الثالثة والخامسة والسادسة تدخل تحت عنوان (مسرح الثورة) Théatre de la Revolution

---

ساحباتٍ على الكَنَهْوَرِ أصبا ... غاً رِقاقاً من واضحٍ وخفيّ
ناسجاتٍ شَفَائفَ الأُفْقِ الزَّا ... هِي بُروداً على الصباحِ السَّنيّ
ذاب في الأُفْقِ رائقاً فوق هامِ الْ ... بِيدِ يَهْمِي على ثرًى بدويّ
يغسل النومَ من مضاجعِ رُعيا ... نِ الصَّحارى ومضربِ القرَويّ

* * *

عجباً للجلالِ والحُسنِ ما جا ... ءَ في إطارَينِ فاترٍ وقويّ
ينسُجانِ الهوى من الفجرِ بُرْداً ... عُلْوِيًّا لشاعرٍ علويّ
صاحَ منْ رُوحهِ وكبَّرَ في أعْ ... مَاقِ دُنْياهُ صارخاً كالصبيّ
أفهذا الجمالُ يا ربِّ ، هذا السـ ... ـحرُ ، من أجلِ ذلكَ الآدميّ ؟

أم درمان — سودان ... التيجاني يوسف بشير

Le Montespan (١٩٠٤) Les Trois Amoureuses (١٩٠٥) Le Triomphe de la liberté (١٩١٧) — hiluli (١٩١٩).

وفى مقالاته عن (مسرح الشعب) نادى رومان رولان بأن يكون المسرح متحرراً من بورچوازيته أى من اقتصاره على رسم ألوان الحياة الدائرة بين الطبقات الوسطى والغنية، لأن هذه الطبقات لا تكوّن إلا جزءاً ضئيلا من الأمة. فاقتصار موضوعات الكتاب المسرحيين عليها يحرم المسرح من أن يكون معبراً عن روح الشعب الحقيقية وآماله التى لا نلمسها إلا فى الطبقات الفقيرة وهى الكثرة فى كل شعب. كذلك هاجم رومان رولان المسرح الكلاسيكى والمسرح الرومانتيكى داعياً إلى أن يكون الفن المسرحى صدى لتفكير العصر الذى نعيش فيه، وأن يكون ممهداً الطريق لمجتمع جديد. وبرغم أن رومان رولان بقى حتى الحرب الكبرى لا يعلن فكرته السياسية المحددة، فان كل كتبه كانت تفيض بتمجيد الحرية والأحرار وبنزعة إنسانية عظمى. ولقد كان هذا المجتمع الجديد الذى يرى إلى التمهيد له هو ذلك الذى تحيا فيه الطبقات الفقيرة المهضومة حياة حرة كريمة، وتجد بين أحضانه أكبر قدر من الحنان والتقدير.

على أننا ونحن فى انتظار ذلك اليوم المطوى فى ثنايا الغيب يرى رومان رولان وجوب أن نعد الشعب لتقبل ذلك المجتمع الجديد، وما ذلك إلا بأن نهيء الفرد لبلوغ أعظم درجة مستطاعة من الكمال الانسانى حتى يقابل كل تطور جديد بقلب مفتوح وصبر جميل. ولذا نرى رومان رولان (أخلاقياً) يطالب الفرد بأن يكون قوى الخلق عظيم النفس، حنون القلب محباً لكل الناس، راغباً فى معرفة كل شيء، مستعذباً التضحية فى سبيل الفكرة السامية. فبهذا وحده نستطيع أن نقبل راضين مجتمعاً جديداً مترفعاً عن الدنايا كارهاً لضروب الرياء الذليل، بعيداً كل البعد عن الأنانية الحيوانية. ولهذا أيضاً كان رومان رولان يهيم بحياة الأبطال الذين يرى فيهم مثلاً أعلى لما يجب أن يكون عليه الفرد من الفضائل. فنراه يكتب — كما ذكرنا — قصتيه المسرحيتين (سان لويس) و (دانتون). ثم نراه يكتب بعد ذلك ثلاث تراجم بعنوان (حياة الرجال المشهورين) Vies des Hommes Illustres أولاها عن (حياة بيتهوفن) Vie de Beethoven (١٩٠٣) والثانية عن (حياة ميشيل آنج) Vie de Michel Ange (١٩٠٦) والثالثة عن (حياة تولستوى) Vie de Tolstoi (١٩١٣)، ثم أخيراً يصدر كتابه الشهير عن (مهاتما غاندى) Mahatma Ghandi (١٩٢٦)

ويرى رومان رولان أننا فى عصرنا الحاضر أحوج ما نكون إلى دراسة أولئك الأبطال (لأن أوروبا الآن يغشاها جو خانق مفعم بالرذيلة. إذ طغت المادية الوضيعة على الفكر.... إن العالم يختنق. فلنفتح النوافذ حتى يدخل الهواء الطلق العليل. فلنستنشق نفثات الأبطال)[1] وما هؤلاء الأبطال إلا أولئك الذين نرى فيهم — كما يقول رومان رولان — (روح البطولة. ورجاحة العقل والابتسامة الدائمة، وشهوة النور والمعرفة. تلك الصفات التى نراها فى فرنسا فى رابليه وموليير وديدرو، وبين الموسيقيين نستطيع أن نقول بيرليوز وبيزيه لأنه لا يوجد خير منهما)

على أن رولان يرى فى بيتهوفن وميشيل آنج وتولستوى عبقرية لم يجدها فى أبناء وطنه. فيرى فى بيتهوفن الشخص (الذى منه تنتقل عدوى الشجاعة الخارقة. والاحساس بالسعادة فى الكفاح، وتغلب الضمير الذى يشعر فى نفسه بأنه إله). ويرى فى تولستوى (ذلك النور الذى انطفأ، والذى كان لأبناء جيلين أطهر نور أضاء شبابهم) وهو يجد فيه أيضاً (الصديق الحقيق الوحيد بين كل رجال الفن المعاصر). ولسنا فى حاجة إلى تأكيد الصلة الوثيقة بين تولستوى ورومان رولان، إذ أن تولستوى هو الكاتب الوحيد بين الكتاب الحديثين الذى طالب بأن تكون رسالة الفنان أخلاقية ودينية. وهذا هو أظهر ما يميز فن رومان رولان ودعوته

ونحن إذا نظرنا الآن إلى هؤلاء الثلاثة الذين يمجدهم رومان رولان رأينا أن أولهم ألمانى، والثانى ايطالى، والثالث روسى. فكأنه لم يجد بين أبناء وطنه مثله الانسانى الأعلى. لذا كان ذلك داعياً إلى أن يجد رومان رولان عدداً ليس بالقليل من النقاد الفرنسيين يتهمونه بانتقاص العبقرية الفرنسية والطعن فيها. والواقع أن رومان رولان كان دائم اللوم لأبناء وطنه على (شدة تأثرهم بالأوهام الخداعة التى تصوغها الخطب الرنانة) وكان يصرح دائماً (بكرهه لذلك النوع الجبان من المثل الأعلى الذى يدير العيون عن بؤس الحياة وضعف النفس. إن البطولة الكاذبة

(١) راجع مقدمة كتاب (حياة بيتهوفن)

جبن ونذالة . فليس هناك إلا نوع واحد من البطولة . تلك هى التى ترى الحياة كما هى وتحبها)

والعجيب أن رومان رولان عند ما أراد أن يرسم صورة خيالية تتجمع فيها فضائل أبطاله السابقين لم يجعل بطلها فرنسياً بل ألمانياً . فكتب قصة (جان كرستوف) Jean Christophe (١٩٠٤ — ١٩١٢) وبطلها جان كرستوف — موسيقى ألمانى (تتلغلت فيه نفس بتهوفن العظيمة . فصلبت أعضاءه ونفسه وبدت كأنما جملت حجمها ضخماً هائلاً . لقد كان يتجه نحو العالم . كان كجبل شامخ تدوى بين أرجائه العواصف ، عواصف الحرارة والحماسة ، عواصف الهم الدفين ، آه ! يا له من هم ! على أن ذلك لم يؤثر بشيء ! كان يحس بنفسه وافر القوة ؟ ... العذاب ! العذاب أيضاً ! ... آه ! ما أجمل أن يكون المرء قوياً ما أجمل أن يتعذب المرء عند ما يكون قوياً ! . . .)

وقصة (جان كرستوف) تقع فى عشرة أجزاء ، وهى فى نظر الناقد أندريه بى أقرب الى أن تكون ترجمة لشخصية خيالية من أن تكون قصة ؛ وهى — كسائر أعمال رومان رولان — تفيض بالضمير الحر والحب النبيل والموسيقى الرائعة (١)

وليس إعجاب رومان رولان ببيتهوفن قاصراً على كونه نموذجاً للبطل الذى ينشده مما دفعه لأن يرسم شخصية (جان كرستوف) مماثلة له ، بل أيضاً لأنه (امام الموسيقيين) ، و(الموسيقى الالهية) عند رولان كأبطاله بمثابة (الضوء الذى ينير حياته) ولقد رأينا كيف كان له الفضل فى إدخال مادة (تاريخ الموسيقى) فى السوربون حين عين أستاذاً فيها . كما أنه كتب فضلا عن دراسته الخالدة عن بتهوفن عدة دراسات أخرى فى الموسيقى . منها Musiciens d'autrefois (١٩٠٨) و Musiciens d'aujourd' hui (١٩٠٨) و Haencsl (١٩١٥) ذلك أن رومان رولان يرى — ككاتب أخلاق — أن الموسيقى خير مهذب للنفوس المريضة ، وأعظم حافز للعواطف الخامدة ، كما أن الموسيقى العبقرى يستطيع أن يجعل موسيقاه خير تعبير عن روح العصر وآماله وظروفه الملموسة

(البقية فى العدد القادم)

على كامل

(١) Andrè Bill. La Littérature Française Contemporaine p.163





من أساطير الإغريق

أجنحة ديدالوس

أول محاولة للطيران عرفها التاريخ

للأستاذ دريني خشبة

لم يكن فى أثينا القديمة على ما اشتهرت به من روعة الفن وكثرة الفنانين ، من هو أمهر من ديدالوس المعظم فى نحت الدُّمى وصناعة التماثيل ، وهندسة المبانى الضخمة . ولقد كان يتنقل بين المعاهد اليونانية ، وخاصة بين إقريطش وقبرص وأثينا ، لكثرة الدعوات التى كانت تصله من ملوكها ، ليقوم على بناياتهم وليتعهد تماثيلهم ، وليشرف بنفسه على هياكلهم ، ليقال فى مواضع الفخر ، إن هذا التمثال ، أو تلك الدمية ، أو هذه الزخرفة من عمل ديدالوس

واستفاضت شهرته ، وذاع صيته ، وملأ الخافقين اسمه ، ولا سيما بعد إذ شاد اللابيرنث (التيه) لمينوس ملك إقريطش ، واللابيرنث عمل من أجل الأعمال الهندسية القديمة ، إن لم يكن أجلها جميعاً . ذلك أنه كان لمينوس وحش هائل مخرِّب يسمى (المينوطور) ، نصفه الأسفل نصف عجل جسد ، ونصفه الأعلى نصف رجل له أنياب الأسد ، وغَدْرَةُ الذئب ، وقوة التنين المظيم[1]

وكان لاينفك يقتل كل من اقترب منه ، ولو كان من خاصة الملك . فلما استطار شره ، وعظمت بليته ، دعا مينوس الملك ، ديدالوس المهندس ، ليشيد هذا البناء الرائع ، ذا المنعرجات والحنيات ، والشعاب المتداخلة ، التى لايستطيع أحد أن يفلت منها ، إذا انفتل فيها . وقد بناه ديدالوس على شكل دائرة عظيمة يحيطها هذه الشعاب والمنعرجات ، وفى وسطها فضاء فسيح يربض فيه المينوطور أو يركض

ولندع الآن ذلك المينوطور الرهيب جاثما فى اللابيرنث ، لنرى ما كان من أمر ديدالوس بعد ذلك

ظل الناس يتحدثون عما وهب ديدالوس من عبقرية ، وما أوتى من حذق ونبوغ ، وظلوا يتهافتون على آياته الفنية التى كساها إلهامه ظلالا كظلال السحر ، وموهها بأمواه القداسة والخلود ، حتى كبر الفتى برْدِكس ، ابن أخى ديدالوس ؛ وكان شاباً ممتلىء الجسم ، مفتول العضل ، قوى الملاحظة ، دقيق الفهم ، سريع التصور ؛ ماكاد يتتلمذ لعمه حتى بلغ شأوه ، بل هو قد فاقه بمزج الشعر والموسيقى بفن الحفر والمثالة ، ولاءم بين روحها جميعاً ، فكان يبرز تحفه فى مظهر دقيق وطراز أنيق ؛ ثم هو يضفى عليها من شبابه النضر ، وروحه المطربة الشاعرة ، ظلال الحب ، وسمات الفتنة ، ويحرك فيها عواطف الآلهة !

ولهج الاثينيون باسم هذا الفنان الشاب ، وتناسوا عمه الذى هو أستاذه وملهمه . وضاق ديدالوس بابن أخيه ذرعاً ، وساءه أن تكسف شمسه الوضاءة المتلألئة ، نجمه الذى لبث زماناً يسلسل نور الفن فى أرجاء هيلاس

وما فتىء العم يحنق ويحنق ، وما فتىء پردكس يسمو بفنه الى الذروة ، حتى لسعت عقارب الغيرة قلب الشيخ الفنان ، ونفثت فيه سمها ، فلم يعد يطيق هذا الخصم الذى صنعه لنفسه بيديه ، ولم يعد يحتمل أن يرى نفسه كلًّا مهملا بجانب الفتى العبقرى ، فأقسم ليزيحنه من طريقه ، ولو بتجريعه كأس المنون ،

وزين له أن يحتال عليه ، فيذهب وإياه الى شعاف جبل شاهق ، ذى مهاو تنتهى الى اللج الجياش فى اليم ، حتى إذا كانا فوق القنة المشرفة على البحر المصطخب ، نهز منه غِرة ودفع به الى الأعماق ، حيث ينشق له قبر من الموت . . . والنسيان !

وأنفذها ديدالوس المسكين !

ولكن الآلهة كلها كانت تنظر ، وتستعد للمعجزة !

---

(١) فى الأسبوع المقبل نرى كيف يقتل الشاب تيذيوس هذا المينوطور الفظيع

وكيف ؟ !

لقد استجمع الشيخ كل قوته ، ووضع فى يديه كل مُنته ، ودفع بابن أخيه من فوق القنة ، فتردى الفتى على حدور الجبل ، حتى إذا كان بينه وبين الموت قاب قوسين ، هبطت منيرفا [(١)] سيدة الأولمب ، وصاحبة أثينا ، من عليائها ، فأنقذت پردكس من قتلة محققة ، ثم نفثت فى أذنه نفثتين ، كان بهما فرخاً حزيناً من أفراخ القطا ، راح يرف فى السماء مدوماً فوق عمه ، حتى كاد يصعقه من حيرة وعجب ! !

وانقلب ديدالوس الى بيته أسوان أسفاً ، ووقر فى نفسه أن الآلهة التى سحرت پردكس لتنقذه من تدبيره السيء ، لابد أنها تترصده ، ولابد أنها ستأخذه بأوزاره فى القريب ، غير متجنية ولا ظالمة ؟

ثم مضت سنون ، وولد لديدالوس طفل جميل الصورة ، طلق المحيا ، مشرق الغُرَّة ، سماه إيكاروس . ولكن الطفل لم يستطع أن يخفف من الروع الذى كان ينتاب أباه ، أو يذهب بسورة الهم التى كانت تجثم على قلبه ، وتثقل على نفسه ، كلما تصور الهامة الفزعة التى يضطرب بها نومه ، فتقض مضجعه وتزلزل كيانه .

لقد كانت القطاة تتمثل له كلما أغمض طرفه ، كأنها روح مَيت ترنّق على خصمها تكاد تصعقه . وازداد الشيخ خبالاً حينما ألحف عليه الأثينيون يسألونه عن پردكس أين قضى وأيان ولى ! وأخذ الغوغاء يلغطون ، وشرع الخاصة يتسقطون أخبار الفتى الفنان ، وأبوا على عمه يسألونه عنه ، وهو يضلل بهم ويخترع لهم ، حتى أوجس أن ينكشف سره ، فينكل الناس به . فآثر الهجرة عن أثينا المحبوبة ، إلى صديقه مينوس ملك إقريطش ، مصطحباً معه ابنه الطفل إيكاروس

وتطامن الدهر ، وشب إيكاروس وترعرع ، وأخذ عن والده من الفن ما أخذ پردكس من قبل ، وحسب ديدالوس أن الزمان قد غفل عنه ، وأن أعين الآلهة قد غفت واستنامت ، وأن الأيام قد ابتلعت إثمه الكبير فى تضاعيفها القاتمة المظلمة ، فاستيقظ الغرور فى قلب الفنان الشيخ ، ولم يتقبل ما غمره به مينوس الملك من النعم بالشكر الواجب على لاجيء طريد مثله ، بل بطر واستكبر ، وكفر بأنعم مولاه وآلائه ، ومَدَّ له هواه فولغ فى إناء الملك ، بعد أن اختلط بأهل بيته اختلاطاً شائناً أدّى إلى كثير من القيل والقال

وعلم الملك بما كان من خيانة ديدالوس فأمر بالقبض عليه ، واعتقاله فى إحدى غرف القصر حتى يُقضى فى شأنه ؛ فألقى به فى حجرة منفردة فى طرف القصر ، مشرفة على الماء ، متصلة بالسماء

وطالت عزلة الفنان الشيخ فى معتقله هذا ، وضاق ابنه بالحيز الضيق الذى يحبس أنفاس روحه ، ويحسر مرامى مقلتيه ، ويشيع الهم فى حنايا ضلوعه ، فقال لوالده وهو يحاوره : « أهكذا قضى علينا أن نموت هنا صبراً يا أبتاه ! » وكانت كلمات إيكاروس المبللة بالدموع تذهب كالصدى فى آذان الشيخ ، وكان الغلام يجتذب اللفظة المفردة من فم أبيه ، فما يكاد يفوز إلا بلا ... أو بنعم ...

وكانت للغرفة التى اعتقلا فيها شرفة صغيرة تطل على البحر الأبيض المتوسط ، وكان منظر السفائن الماخرة فى البحر كالأعلام ، والطير صافات من فوقها كأنها تسبح بدورها فى لج من زرقة السماء ، يثير فى نفس الفتى أحلاماً وأخيلة وأمنيات . وإنه لفى أصيل جميل يناجى الطبيعة من شرفة سجنه الصغيرة ، إذا به يذهب إلى والده مستبشراً متهللاً ، ويقول : « أبى ! أعجزنا عن أن نصنع لنا أجنحة كهذه الطير . فنفلت بها من هذا المكان الرهيب؟ . »

وكان الشيخ جالساً فى زاوية مظلمة من زوايا الغرفة يجتر أحزانه ، ويتغنى آلامه ، فلما سمع ما خاطبه ابنه به ، افتر فمه العجوز عن ابتسامة منقبضة مغضنة ، وشاعت فى أساريره بوارق أمل جديد !

وقال لابنه : « أجنحة ؟ وأنى لنا بالريش يا إيكاروس ؟ »

فقال الولد : « لا عليك يا أبى ، إن غرفة الدجاج قريبة من هنا ! »

وعبس الفنان الشيخ ، وقال : « والحارس الفظ ؟ . . . »

فتضاحك إيكاروس قائلاً : « الحارس ! ؟ أمره أهون مما ترى . . . سنرشوه يا أبتاه ، فيحضر لنا ما نشاء من الريش ، وسنخدعه أننا صانعان له لباساً لا تحلم الملوك بمثله ! »

ولكن العبوسة التى رفت على جبين الشيخ أنشبت فيه جميع مخاليبها ، وقال : «دعنى أفكر يا بنى ، دعنى أفكر يا إيكاروس...»

* * *

وهكذا كانت العبقرية البكر ، الكامنة فى هذا الفتى الصغير ،

(١) منيرفا هى باللا أثينا ، وقد خلقت شجرة الزيتون فملأت الأرض بركة . وكانت پردكس يصنع لها تماثيل رائعة ، وهى هنا تنقذه لترد له قليلا من جميله

لقاحاً بعيد الأثر فى عبقرية الشيخ الفانى المتهدم ، وهكذا بدأ الفنان الأكبر ، بانى اللابيرنث ، ومشيد هياكل الآلهة ، يفكر فى هذا المقترح الشارد الذى اقترحه عليه الفنان الصغير !

« أجنحة . . . دجاج . . . ريش . . . الحارس الفظ . . . مينوس . . . بردكس . . . فرخ القطا . . . الطير . . . إيكاروس ابنى . . . ! » وهكذا انبطح الشيخ على وثيرته تتداعى هذه الخلجات فى رأسه الساخن المتأجج ، تذكى فيه الذكريات والمآسى !

واحتال الفتى على الحارس حتى حصل على مقادير هائلة من ريش البط والأوز والديكة ؛ وفكر الشيخ كيف يثبت الريش فى مكانه من عضد الجناح ، فادخر الشموع التى كانت تترك له يضيئها فى الليل ، ليتضاعف بلهيبها الخافت حزنه ؛ حتى إذا كان لديه قدر كبير منها ، عمد اليها فصهرها ، وثبت بها ما شاء من الريش ، وبذلك صنع زوجين من الأجنحة الكبيرة ، يكفى أحدها لحمل فيل !

وجلس يمحض ابنه النصح فقال :

« أى بنى ! أى إيكاروس العزيز ! سنطير من هنا يا ولدى ! إلى أين ؟ لست أدرى ! ولكننا سنفلت من هذا السجن على كل حال ! وهأنذا قد صنعت الأجنحة التى تخيلها أملك الصغير الذى هو أكبر من جميع آمالى ! ولقد رأيت إلى كيف كنت أذيب الشمع قريباً من النار يا ولدى ، فأوصيك إذا طرنا ألا تترك سمتى ، وأن تكون دائماً قريباً منى ، فانى أخشى إذا علوت علواً شاهقاً أن تصهر الشمس شمع جناحيك ، فتهوى فى البحر ، وتتردى فى أعماق الموت ! وكما أخشى عليك من العلو الشاهق ، فكذلك لا أرى لك أن تدنو من الماء ، فانه إن وصل إلى الشمع أيبسه ، ولم يعد يصلح لمهمة الطيران ، إذ يتساقط قطعة فقطعة ، ويتناثر الريش ، وتسقط ، إما فى البحر فتغرق ، وإما فى الأرض فيندق عنقك . فلا تنس يابنى أن تتبعنى أبداً ، واحذر أن تعلو فتدنو من الشمس ، أو أن تسفل فيصيبك رذاذ الماء ورشاشه . إلىَّ ياولدى أثبت لك جناحيك ، ولنمض على بركة ز . . . ز . . . زيوس ! ! »

وتلجلج لسانه حين أراد أن ينطق باسم الآله الأكبر ، لأنه يثق أنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، وهو محيط بعباده ، لا ينسى أن ينتقم من الظالمين للمظلومين !

وانطلقا من الشرفة ، وألقيا على القصر ، وما أحاط به من حرس وعسس ، نظرات كلها نقمة وتغيظ . . .

ومرّا بشطوط كثيرة ومروج كبيرة ، وكان الصيادون والزراع والبحارون وأهل القرى كلما رأوا هذين الطائرين الكبيرين ، ذوَى الهيئة الآدمية ، خرّوا للأذقان سجدا ، يحسبون أنهما إلهان من آلهة السماء ، هبطا يباركان الناس والخلق ، فيهللون ويكبرون ! !

فهذا شيخ يطالب اليهما أن يباركا فى عقبه وعداً فى أجله ، وهذه شمطاء تدعو أن يردّا عليها جمالها الضائع وشبابها الذاهب ، وتيك رؤوم تناجى ابنها فى قبره فتطلب إليهما أن يُنفضاه من الثرى ! وهؤلاء فلاحون يصرخون أن يمنا عليهم فيخلصاهم من الفقر والمتربة ....

وشاع الزهو فى أعطاف إيكاروس ، فكان يرتفع قليلا ، أو يهبط قليلا عن سمت أبيه ؛ ثم تشجع وتشجم ، وبهرته زرقة السماء وأديمها الصافى ، فجازف وارتفع ارتفاعاً شاهقاً ، ونسى وصية أبيه ، فعلا وذهب فى السماء صَعَداً ، وكان يغريه أن يصغر العالم الأرضى فى عينيه ، فيعلو ويعلو

وأسفاه ! ! لقد دنت ساعة الانتقام لك يا بردكس ! فلقد صهرت الشمس شمع الجناحين ، وهوى إيكاروس الى الأعماق ! ولما دنا من والده صرخ صرخة هائلة دوت فى أذن أبيه ، فتلفت الشيخ ليرى ولده يغوص فى اليم ، يبتلعه مرة ويلفظه أخرى !

فأسرع الوالد المسكين الى البحر ، وانتشل ولده من الماء جثة هامدة ! وكان هو بدوره قد أذاب الماء شمع جناحيه ، فعالج الموج معالجة ، وسبح بفلذة كبده الى جزيرة قريبة ، بلغها بعد جهد وعناء !

وجلس يبكى ولده . . .

ثم شق له قبراً صغيراً فى رمل الشاطىء ، وما كاد يسره فيه ، حتى رأى قطاة حزينة تدوّم فى السماء ، ثم تهبط قليلا قليلا ، حتى تكون بمقربة من القبر ، فتقف كاسفة مشجونة وتنظر الى الجثة والدموع تنهمل من عينيها .. عبرة ، فعبرة . .

ويفرغ الشيخ من مواراة ولده فى التراب ! وينتبه ! فيرى القطاة ! فينشج نشيجاً مؤلماً ، ويقول : « بردكس ! ! أنيت تبكى إيكاروس ! ! سامحنى يا بردكس ! »

فتزقو القطاة كأنها تنتحب ! ثم تدنو من القبر حتى تكون فوقه ، فتذرف عبرتين غاليتين ، وترف فى الهواء حتى تغيب عن عينى ديدالوس !!

دريني خشبة

البريد الأدبي

سان ماركو

قامت إيطاليا في ظل الفاشستية بكثير من الأعمال العلمية والفنية العظيمة؛ ومن ذلك اكتشافات أثرية عظيمة في ضواحي رومة وفي جنوب إيطاليا، وإصلاح لكثير من الآثار الشهيرة، وإصدار موسوعة إيطالية كبيرة، ووصل ثغر البندقية بالأرض بجسر عظيم يبلغ طوله نحو كيلو مترين. وآخر الأعمال الفنية العظيمة التي أتمتها الحكومة الايطالية، هو إصلاح كنيسة سان ماركو (القديس مرقس) الشهيرة في البندقية؛ وتعتبر هذه الكنيسة التي يرجع بناؤها إلى نحو ألف عام من أعظم التحف الفنية في إيطاليا، وتعتبر الثانية من حيث عظمتها الفنية بعد كنيسة القديس بطرس في رومة. وتمتاز بالصور والنقوش الرائعة التي صنعت كلها من الفسيفساء الملون، في جدرانها السفلية وأروقتها العليا. وهي تجاور قصر الدوجات وتقع على يساره، وأمامها ميدان سان ماركو الشاسع الذي كان خلال العصور ميدان الاحتفالات والاجتماعات العامة أيام الجمهورية؛ وقد بدأت أعمال الاصلاح فيها منذ ثمانية وعشرين عاماً، وذلك بعد أن قرر الخبراء أنها غدت في خطر، وأن أسسها قد اضطربت وتشققت جدرانها؛ وذلك على أثر سقوط برج «الكامبنيلي» الشهير في سنة ١٩٠٢؛ وهو يقع أمام قصر الدوجات على مقربة من الكنيسة، وقد جدد، وهو يرتفع إلى علو شاهق، ويشرف على ثغر البندقية وجميع الجزر (اللاجون) التي تقوم عليها. وبدئ الاصلاح بتقوية أسس الكنيسة وأعمدتها؛ وعهد إلى المهندس والفنان الكبير الأستاذ لويجي مارانجوني بالاشراف على أعمال الاصلاح الفنية. وقد بذل هذا الفنان مجهودات فادحة لانقاذ زخارف الفسيفساء التي كاد بعضها يتلاشى، واستطاع بمعجزة حقيقية أن يعيدها إلى بهائها الأول. ولن تمضي أسابيع قلائل حتى ترفع الأعمدة والحواجز الخشبية التي حجبت بعض واجهات الكنيسة عن النظارة زهاء ثلاثين عاماً، ويستطيع الزائر أن يمتع الطرف بمشاهد الصور والنقوش البديعة التي صنعت كلها من فسيفساء ملون، وبينها صور القديسين ومناظر من الكتاب المقدس

ويعتبر اصلاح هذه الكنيسة الشهيرة من أعظم الأعمال الفنية التي قامت بها إيطاليا في هذا العصر؛ ويرجع إلى عزم الحكومة الفاشيسية وسخائها في تعزيز الأعمال الفنية والأثرية، الفضل في سرعة انجاز هذا العمل العظيم

حول أزمة السياحة

تتحدث الصحف الفرنسية منذ حين عن «أزمة السياحة»، لأن السياحة مورد من موارد فرنسا العظيمة، وقد لوحظ أن الاقبال على زيارة فرنسا قد أخذ يتناقص في الأعوام الأخيرة، وتأثرت جميع الجهات والمصالح التي تتصل بموسم السياحة، وأخذت تفكر في ابتكار الوسائل لمكافحة هذه الأزمة وترغيب الأجانب في زيارة فرنسا. وقد درس كثير من الخبراء والباحثين أسباب هذه الأزمة في الصحف، ونسبها بعضهم إلى ارتفاع الفرنك وغلاء الأسعار في فرنسا لدرجة فاحشة؛ ونسبها البعض إلى الأزمة العالمية التي أصابت كل الموارد؛ ولكن كاتباً مطلعاً وعضواً في مجلس الشيوخ، أدلى برأي جديد في أسباب أزمة السياحة، فقال إنها ترجع قبل كل شيء إلى تغير النفسية الفرنسية، وتحول الفرنسي من مضيف رقيق الطبع كريم الوفادة، إلى تاجر جاف الخلال، تغلب لديه فكرة الكسب على كل فكرة أخرى، لجميع الجهات والأفراد الذين يشتغلون بموسم السياحة كوكالات السفر والفنادق، والسكك الحديدية، وأصحاب المطاعم والملاهي وغيرها، يعمل كل لصالحه فقط، ولا تجمع بينهم رابطة مشتركة وكل يحاول أن يقتضي من السائح أوفر غنم؛ واليوم يأتي السائح في الجمارك الفرنسية موظفين جامدين، وتستقبله في فرنسا

قوانين واجراءات شديدة ، ولا يكاد يلقى الابتسامة على ثغر أحد ؛ ومن رأى الكاتب أن الاستقبال الحسن هو أهم عنصر لتشجيع السياحة ، ويجب أن يشعر الزائر بهذه الخاصة ، منذ دخوله البلاد حتى خروجه منها ، ويجب أن يحسن استقباله أين سار : في الجمارك وفي الفندق ، وفي المتاجر والمصالح ، وكل ماله مساس بتجواله أو درسه أو متعته . وعلى هذا الأثر الحسن يتوقف مستقبل السياحة اليوم ؛ وقد فقدت فرنسا في الأعوام الأخيرة كثيراً من هذا الأثر الحسن الذي كانت تشتهر به فيامضى

حول الراغب الاصبهاني

... طالعت في العدد السابع والثمانين من مجلة الرسالة الغراء كلمة الأستاذ البحاثة على الطنطاوى في الراغب الاصبهاني ، فاستغربت كثيراً عدم عثوره على غير المصادر التي أشار اليها ، ولهذا أرى أن من حق الأدب عليّ وخدمة للتاريخ أن أدله على المصادر التالية التي أفردت للكلام عنه بحثاً ضافياً ، وهي :

(١) كتاب هدية الأحباب للشيخ عباس القمى المطبوع في النجف

(٢) كتاب روضات الجنات للشيخ محمد باقر الخونسارى المطبوع في إيران

وسأتقدم بمقال ضاف عما قريب الى « الرسالة » الزهراء عن المشار اليه ، والأمل أن يتفضل صاحب الرسالة بنشره

النجف — العراق محمد كاظم كونه

جامعة مشيغن الاميركية وشباب الشرق

على أثر عودة الدكتور أغا أوغلو أستاذ الفنون والصنايع الاسلامية في جامعة مشيغن إلى أميركا ، بعد زيارته إيران وحضوره حفلات الفردوسى ، رفع إلى ادارة الجامعة تقريراً مفصلاً بلزوم تعهد الجامعة بنفقات عشرة طلاب من طلاب الممالك الاسلامية ليدرسوا فيها فروع الصناعات الاسلامية والفنون الجميلة الشرقية . وبعد مداولات كثيرة بين الأستاذ أغا أوغلو وبين أعضاء إدارة الجامعة ، وافقت الجامعة على طلبه ، غير أنها تعهدت بنفقات تعليم هؤلاء الطلاب فقط ، أما الطلاب العشرة فقد وزعتهم الجامعة على الوجه التالي :

طالبان من العراق ، طالبان من إيران ، طالبان من تركيا ، طالبان من مصر ، طالبان من سورية وفلسطين

تأليف مجمع للغة الايرانية

بالنظر الى اتجاه الأوساط الأدبية والصحفية نحو احلال اللغة الايرانية محل الفارسية وتطهيرها من الكلمات والتعبيرات الأجنبية التي قد دخلت عليها واعتبارها أن مثل هذه الحركة إذا تركت بلا توجيه يخشى أن تضر بجمال اللغة — قررت الحكومة أن تنشىء قريباً مجمعاً للغة الايرانية . وسيضم هذا المجمع نخبة الكتاب وعلماء اللغة الوطنيين ، وستكون مهمتهم أن يضعوا معجما لاستبدال الكلمات الأجنبية الكثيرة ، ولاسيما الكلمات المشتقة من العربية والتركية في اللغة الايرانية الحالية بكلمات ايرانية بحتة

وقد أرسلت وزارة المعارف تنفيذاً لهذا القرار وتجنباً لأى اضطراب في أعمال المجمع منشوراً الى جميع الوزارات والمصالح يحرم استعمال الكلمات الجديدة التي تذيعها الأوساط الأدبية التي ليست لها السلطة ولا الخبرة التامة المطلوبة لهذا العمل ؛ والكلمات المستعملة سيستمر استعمالها الى أن تستبدل تدريجياً كلما انتهى مجمع اللغة الايرانية الملكى الى اتخاذ قرارات في بعض البحوث

مؤتمر القلم الدولى

يجتمع المؤتمر الدولى الثالث عشر لنوادى القلم في ثغر برشلونة عاصمة قطلونية (أسبانيا) في العشرين من شهر مايو الجارى ، ويستمر انعقاده الى يوم ٢٥ منه . وقد وضع البرنامج النهائى لأعماله واجتماعاته . ففى الساعة العاشرة من يوم الأثنين ٢٠ الجارى تفتح مكاتب المؤتمر في « كازال ولايتجى » وفى الظهر يطوف الأعضاء ثغر برشلونة ، ويزورون متاحفها ومشاهدها ، وفى اليوم التالى يفتح المؤتمر بصفة رسمية ، وتلقى خطب الافتتاح وتصرف بقية اليوم في حفلات نظمتها لجنة المؤتمر ؛ وفى اليوم الثالث يستقبل الفنانون في برشلونة أعضاء المؤتمر في معرض للصور والتماثيل أقيم تكريماً لهم . وفى الأيام الثلاثة الباقية يعقد المؤتمر جلساته في صباح كل يوم ، ويشهد المؤتمرون بقية اليوم بعض الحفلات والاستقبالات التي نظمت لهم ، ويختتم المؤتمر بمأدبة غداء رسمية في فندق « رتز » أعظم فنادق برشلونة ؛ وقد نظمت رحلات أثرية للمؤتمرين في بعض أنحاء قطلونية ، ورحلة الى جزائر البليار ؛ وستعني لجنة المؤتمر بأن تعرض على المؤتمرين جميع النواحى الفنية والثقافية الاسبانية والقطلانية بنوع خاص

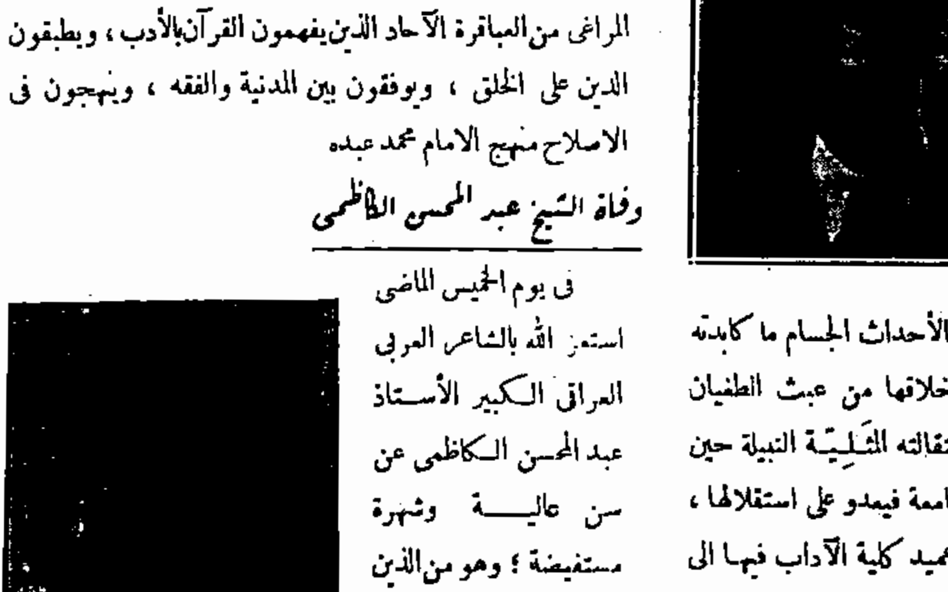
في الجامعة المصرية



وأخيراً صدر المرسوم الملكي بتعيين زعيم النهضة الفكرية الحديثة الأستاذ الجليل أحمد لطفي السيد بك مديراً للجامعة المصرية . والتعيين هنا معناه إعادة الأستاذ إلى منصبه بعد أن ظل باستقالته منه شاغراً أربع سنين كابدت فيها الجامعة من الأحداث الجسام ما كابدته الأمة كلها في سيادتها ومرافقها وأخلاقها من عبث الطغيان المسرحي الأحمق . استقال الأستاذ استقالته الشَّلِيَّة النبيلة حين رأى عبث العهد البائد ينال حرم الجامعة فيعدو على استقلالها ، ويعتدي على حقوق رجالها ، وينقل عميد كلية الآداب فيها الى منصب آخر من غير رأيه ولا علمه . ثم هيمنت على ادارة الجامعة وارادتها سلطة متجنية كانت تدفع الحق دفعاً عن أهله ، حتى انجلت عن السياسة المصرية غشاوة الزيغ وسحابة الباطل ، فوجد المظلوم العدل ، وأبصر التائه الطريق

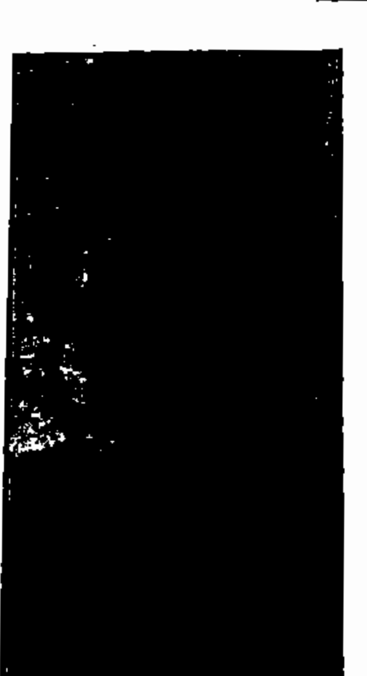
ولم يكن من السهل حتى في ذلك العهد الذي أنكر الكفاية ، وجانب المنطق ، أن تظفر الجامعة بخلف للطفي بك ، فان ثقافته الشاملة ، وعقليته المنطقية ، ونزعته الحرة ، وطبيعته الملة ، وخلقه الفيلسوف ، جعلته أصلح الناس لهذا المنصب ، وأحزم العلماء بهذا العمل

في الجامعة الأزهرية



كذلك صدر مرسوم ملكي آخر بتعيين صاحب الفضيلة العالم الجليل الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخاً للجامع الأزهر . ومسألة الأزهر كانت كمسألة الجامعة عقدة من عقد العهد البائد ، فقد رضي فيه شيخ الأزهر المستقيل أن يكون مطية ذلولا من مطاياه تخب في الزور ، وتخبط في الباطل ، حتى غضب الناس للدين ، وضج العلماء للعلم ، وثار الطلاب للكرامة ، ووفق الله الوزارة القائمة فعالجت هذه الحال باقصاء الشيخ الظواهري وتعيين الأستاذ المراغي . والأستاذ المراغي من العباقرة الآحاد الذين يفهمون القرآن بالأدب ، ويطبقون الدين على الخلق ، ويوفقون بين المدنية والفقه ، وينهجون في الاصلاح منهج الامام محمد عبده

وفاة الشيخ عبد المحسن الكاظمي



في يوم الخميس الماضي استأثر الله بالشاعر العربي العراقي الكبير الأستاذ عبد المحسن الكاظمي عن سن عالية وشهرة مستفيضة ؛ وهو من الذين ساهموا في نهضة الشعر الحديثة بقسط وافر من السليقة الخالصة ، والقريحة الطيعة ، والبديهة التي ترتجل القصيدة المطولة عفو الساعة . هبط الأستاذ مصر منذ خمس وثلاثين عاماً ، فطابت له فيها الاقامة ، ولاذ بكنف الامام محمد عبده ، وهو يومئذ موئل العلم والأدب ، فظاهر نعمه عليه كما ظاهرها على الشنقيطي وحافظ والمنفلوطي ، حتى اتصل سببه وأثمر أدبه في حماه وتحت عينه . ولم يبتغ الكاظمي الوسيلة إلى الحياة إلا بالشعر — والشعر في هذا الزمن رحم قطعاء وأداة عاجزة — لذلك نكد عيشه قليلاً بعد الامام ، فرضي بميسور الكفاف من الرزق ، وبالانتاج القليل من القريض ، وأقعده ضعف القلب وكلال البصر وتقدم السن عن غشيان المجالس والأندية ، حتى اختاره الله إلى جواره . وسنعود إلى تفصيل أمره وتحليل شعره في عدد مقبل



كتابا المواقف والمخاطبات

للنفّرى

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

الأستاذ نيكلسون أستاذ الأدب العربي بجامعة كمبردج ، أحد العلماء الأوربيين الذين عنوا بدرس التصوف الاسلامى ، وبلغوا فى درسه والعلم بتاريخه درجة عالية

وللأستاذ نيكلسون أياد مشكورة فى ترجمة كتب التصوف الفارسية والعربية الى الانكليزية ، ونشر نصوصها ، والكتابة فى كثير من مباحث التصوف . وأعظم مآثره فى ذلك ترجمته الكتاب الخالد ، كتاب المثنوى الى الانكليزية ، ونشره الأصل الفارسى فى طبعة مرتبة مصححة ، لاتقاس بها طبعة أخرى ؛ ولا ريب أن الأستاذ يعد اليوم من أئمة هذا الشأن فى المشرق والمغرب

— ٢ —

وللأستاذ نيكلسون تلاميذ نهجوا نهجه واقتفوا أثره فى العناية بالتصوف الاسلامى ، والاهتمام باحياء كتبه ونشرها

ومنهم صديقنا النابغة العلاّمة أربرى الذى سعدنا بصحبته حيناً فى كلية الآداب ، ثم شقينا بفراقه هذا العام ، إذ ولى منصباً فى المكتبة الهندية بلندن

وكان صديقنا أربرى ، زمان اقامته بالقاهرة ، دائب البحث عن المخطوطات الصوفية ، يواصل الجهد فى تصحيحها ومقابلة بعضها ببعض ، ونسخها بخطه العربى الجميل . وقد يُسر له أن يجمع جملة نادرة من رسائل التصوف وكتبه ، منها : رسائل المحاسبى والسلمى من متقدمى الصوفية

ثم بدأ ينشر ماجمعه وصححه ، فطبع فى القاهرة كتابى المواقف والمخاطبات اللذين نكتب عنهما اليوم ، وترجمهما الى الانكليزية ، ثم نشر الأصل والترجمة فى كتاب واحد ، وكتب له مقدمة نفيسة

— ٣ —

محمد بن عبد الجبار بن الحسن النِّفَّرى ، أحد صوفية القرن الرابع الهجرى ، توفى سنة ٣٥٤ أو بعدها بقليل . وينسب الى قرية نفّر إحدى قرى العراق ، وهى مدينة نِيوّر البابلية القديمة

ويقال إن أبا الشيخ كان جوّالاً فى البرارى لا يستقر فى مكان ، ولا يسكن الى انسان ، وأنه توفى بإحدى قرى مصر

ولم ينبه ذكر الشيخ بين رجال الصوفية ، ولم تذع كتبه بين الناس . وقد ذكره محيي الدين بن العربى فى كتاب الفتوحات ، والشعرانى فى الطبقات الكبرى ، ولكن المأثور من أخباره قليل

وللشيخ النفرى كلمات فى التصوف ، طائفة منها تبدأ بقوله : أوقفنى على كذا ، والأخرى تبدأ بقوله : خاطبنى . وقد جمع ابن بنته كلماته فى كتابى المواقف والمخاطبات اللذين نشرهما صديقنا العلامة أربرى

وخير تعريف للكتابين أن أعرض على القارىء بعض كلماتهما ، فهذه شذرات من المواقف ، وفى العدد الآتى ننقل شذرات من المخاطبات

وسيرى القارىء أن هذا كتاب بدع من كتب التصوف ، وأنه من الأدب الصوفى الذى لايعرف نظيره :

موقف العز

أوقفنى فى العز وقال لى : : لايستقل به من دونى شىء ، ولايصلح من دونى لشىء ، وأنا العزيز الذى لايستطاع مجاورته ، ولاترام مداومته . أظهرت الظاهر وأنا أظهر منه ، فما يدركنى قربه ، ولايهتدى الىّ وجوده . وأخفيت الباطن وأنا أخفى منه ، فما يقوم علىّ دليله ، ولايصح الىّ سبيله

وقال لى : أنا أقرب الى كل شىء من معرفته بنفسه ، فما تجاوزه الىّ معرفة ، ولا يعرفنى أين تعرّفت اليه نفسه

وقال لى : لولاى ما أبصرت العيون مناظرها ، ولا رجعت الأسماع بمسامعها

وقال لى : لو أبديتُ لذة العزّ لخطفت الأفهام خطف المناجل ، ودرست المعارف درس الرمال عصفت عليها الرياح العواصف

وقال لى : لو نطق ناطق العز لصمتت نواطق كل وصف ، ورجعت الى العدم مبالغ كل حرف

وقال لى : إن من أعد معارفه للقائى لو أبديت له لسان الجبروت ، لأنكر ما عرف ، ولمار مور السماء يوم تمور موراً

. . . وقال لى : طائفة أهل السموات وأهل الأرض فى ذل الحصر . ولى عبيد لاتسعهم طبقات السماء ، ولاتقل أقدتهم جوانب الأرض . أشهدت مناظر قلوبهم أنوار عزتى فما أتت على شىء إلا أحرقته . فلا لها منظر فى السماء فتثبته ، ولا مرجع الى الأرض فتقرّ فيه . الخ

موقف البحر

أوقفنى فى البحر ، فرأيت المراكب تغرق ، والألواح تسلم ، ثم غرقت الألواح

وقال لى : لايسلم من ركب

وقال لى : خاطر من ألقى بنفسه ولم يركب

وقال لى : هلك من ركب وما خاطر

وقال لى : فى المخاطرة جزء من النجاة

وجاء الموج فرفع ما تحته وساح على الساحل

وقال لى : ظاهر البحر ضوء لا يُبلغ ؛ وقعره ظلمة لاتمكن ، وبينهما حيتان لا تستأمن

وقال لى : لا تركب البحر فأحجبك بالآلة ، ولا تلق نفسك فيه فأحجبك فيه

. . . وقال لى : الدنيا لمن صرفته عنها ، وصرفتُها عنه ، والآخرة لمن أقبلتُ بها عليه وأقبلتُ به علىّ

موقف المطلع

أوقفنى فى المطلع وقال لى : أين اطلعت رأيت الحدّ جهرة ، ورأيتنى بظهر الغيب

وقال لى : إذا كنت عندى رأيت الضدين والذى أشهدتهما فلم يأخذك الباطل ولم يفتك الحق

وقال لى : الباطل يستعير الألسنة ، ولا يوردها موردها . كالسهم تستعيره ولا تصيب به

وقال لى : الحق لا يستعير لساناً من غيره

وقال لى : إذا بدت أعلام الغيرة ظهرت أعلام التحقيق

. . . وقال لى : ياعالم اجعل بينك وبين الجاهل فرقاً من العلم وإلا غلبك . واجعل بينك وبين العلم فرقاً من المعرفة وإلا اجتذبك

وقال لى : اليقين طريق الذى لا يصل سالك إلا منه

وقال لى : من علامات اليقين الثبات . ومن علامات الثبات الأمن فى الروع

وقال لى : إن أردتَ لى كل شىء علّمتك علماً لا يستطيعه الكون ، وتعرفت اليك معرفة لا يستطيعها الكون

وقال لى : يا عارف أرى عندك قوّتى ، ولا أرى عندك نصرتى . أفتتخذ إلـهاً غيرى ؟

وقال لى : يا عارف أرى عندك حكمتى ، ولا أرى عندك خشيتى . أفهزئت بى ؟

وقال لى : يا عارف أرى عندك دلالتى ولا أراك فى محجتى

وقال لى : من لم يفر إلىّ لم يصل إلىّ . ومن لم أتعرف اليه لم يفرّ إلىّ

وقال لى : إن ذهب قلبك عنى لم أنظر الى عملك

وقال لى : إن لم أنظر إلى عملك طالبتك بملك . وإن طالبتك بملك لم توفنى بعملك

وقال لى : من عبدنى وهو يريد وجهى دام ، ومن عبدنى من أجل خوفى فتر ، ومن عبدنى من أجل رغبته انقطع

وقال لى : العلماء ثلاثة ، فعالم هداه فى قلبه ، وعالم هداه فى سمته ، وعالم هداه فى تعلمه

وقال لى : القرّاء ثلاثة ، فقارىء عرف الكل ، وقارىء عرف النصف ، وقارىء عرف الدرس

وقال لى : الكل الظاهر والباطن ، والنصف الظاهر ، والدرس التلاوة

وقال لى : إذا تكلم العارف والجاهل بحكمة واحدة ، فاتبع

إشارة العارف ؛ وليس لك من الجاهل إلا لفظه

موقف الموت

أوقفني في الموت فرأيت الأعمال كلها سيئات . ورأيت الخوف يتحكم على الرجاء ، ورأيت الغنى قد صار ناراً ولحق بالنار . ورأيت الفقر خصما يحتج ، ورأيت كل شيء لا يقدر على شيء . ورأيت المُلك غروراً . ورأيت الملكوت خداعا . وناديت يا علم فلم يجبني . وناديت يا معرفة فلم تجبني . ورأيت كل شيء قد أسلمني ، ورأيت كل خليقة قد هربت مني . وبقيت وحدي . وجاءني العمل فرأيت فيه الوهم الخفيّ والخفيّ الغابر . فما نفعني إلا رحمة ربي . وقال لي أين علمك ؟ فرأيت النار

وقال لي . أين عملك ؟ فرأيت النار

وقال لي : أين معرفتك ؟ فرأيت النار ، وكشف لي عن معارفه الفردانية فخمدت النار

وقال لي : أنا وليك فثبتّ

وقال لي : أنا معرفتك فنطقت

وقال لي : أنا طالبك فخرجت

عبد الوهاب عزام

